الفصل الثالث

الجهاد في سبيل الله ..

● **تمهيد :**

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد ..

فإن القرآن الكريم كتاب الله الخالد على مر السنين ، جمع فأوعى لم يترك أمرا من أمور الحياة ومشكلاتها الا تعرض له ، وبين الحل ووضع الجواب ، اما اجمالا أو تفصيلا ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شيء** ﴾(1) وبينما نقرأ فى القرآن من آيات العقيدة ، ونظريات الكون والخلق والايجاد ونطالع آيات الأخلاق والدعوة اليها والحث على التعاون ، والبر والتقوى والرحمة والتراحم بالضعفاء والآباء وذوى الأرحام ، نقرأ بجانب هذه الآيات : آيات الجهاد ، ومدافعة الأعداء اما للدفاع عن النفس والعقيدة أو حماية الممتلكات والأوطان وحث المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله بالمال أو بالنفس أو بهما معا .

فما معنى هذا ؟

قد تستعصى الأمور ، وتنفد الوسائل ، ويظن العدو بأنه جبار لا يستطيع مخلوق أن يرده عن صلفه وغروره ، فلا بد اذن من مقابلة القوة بالقوة ، حتى يرتدع الفاسق ، وينزجر الظالم ..

---

(1) الأنعام : ٣٨

والشر ان تلقه بالخير ضقت به ذرعا وان تلقــه بالشر ينحسم

فالدفاع عن النفس مشروع فى كل القوانين والأديان بما لا يختلف فيــه اثنان ، فاذا كانت آيات القرآن قد اشتملت على الجهاد فى بعض سوره فان ذلك دليــل على أن المؤمن لا يقبل المذلة والهوان ، ولا بد لــه من أن يعيــش عزيزا محترمــا بين النــاس ، واذا أمن المســلم فى عقيــدته وعبــادته وحيــاته وممتلكاته ، فانه مســالم للجميع ..

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ﴾(١) .

ان الاسلام لا يرغم أحــدا على الدخول فيه : **﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شــاء فليكفر ﴾(٢) .**

واذا كانت هنــاك أصــوات من الغرب تدعى كذبا بأن الاســلام قام بالسيف وبنى مجده على الحروب والقتــال فلنراجع تاريخ الاسلام منذ قام النبى صلى الله عليــه وسلم بالدعوة الى الله .

فقد ظل فى مكة يدعــو الى الله ثلاثة عشر عاما يدعو بالحكمــة والموعظة الحســنة ، لم يحمل ســيفا ولم يشهر ســلاحا فى وجه الكفار وتبعا لتعاليم ربه : **﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾(٣)** وقوله تعالى **﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾(٤)** وقوله تعالى : **﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ﴾(٥) .** الى غيرها من آيات الصبر والتحمل ، وهنــا نجد أن الرســول تحمل الأذى وعنت قريش وكبرياءها ، لكنه كان يقرعهم بالحجة الواضحة ويسكنهم بما أوتى من فصاحة وبيان وبما ينزل عليــه من القرآن . ولقى أصحابه معــه ألوان الأذى والعنت من قريش على أيدى الجلادين ومنهم من لقى الله شــهيدا . ثم كانت المقاطعة المشــهورة التى عاش رسول الله صلى الله

---

(١) البقرة : ٢٥٦ (٢) الكهف : ٢٩
(٣) النحــل : ١٢٥ (٤) المعارج : ٥
(٥) الكهف : ٢٨

عليه وسلم وآل بيته فى عزلة تامة عن المجتمع المكى ثلاث سنوات حتى اضطر الصحابة الى أكل أوراق الشجر ، وتعرض المسلمون فيها للابتلاء والتمحيص ، ومروا بتغييرات نفسية عصيبة خرجوا منها أقوى ايمانا بالله ورسوله ، ومع كل هذا لم يؤمر المسلمون بالقتال ، وكفى بهذا ردا على هؤلاء وأمثالهم من أعداء الاسلام والمتقولين عليه زورا وبهتانا .

فلما هاجر المسلمون الى المدينة وهاجر بعد ذلك رسول الله وفتح المجتمع المدنى صدره للدعوة وصاحبها . واتتشر الاسلام ، خاف أهل مكة على مجدهم القديم فحاولوا المرة بعد الأخرى الهجوم على المدينة للقضاء على الدعوة الاسلامية ، وكان الدرس الأول فى غزوة بدر الكبرى حينما قضت الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكثيرة الباغية : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** ﴾(١)هنا فقط أذن للمؤمنين بالقتال دفاعا عن النفس والعقيدة :

﴿ **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير** ﴾(٢).

وكان ذلك ايذانا من الله بشرعية القتال ما دام العدو قد تطاول الى هذا الحد والا خرج الأمر الى مواقف الذلة التى لا يرضاها الله للمؤمنين وهو القائل : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾(٣) .

فاذا كانت فى الاسلام حربا فانما هى حرب دفاعية وقائية ليست حرب انتقام أو اغتصاب أرض أو اذلال طائفة من الناس تهلك الحرث والنسل ، وتأكل الأخضر واليابس ، بل هى حروب مقدرة بالضرورة لدفع العدوان ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد** ﴾(٤) .

---

(١) البقرة : ٢٤٩ (٢) الحج : ٣٩

(٣) المنافقون : ٨ (٤) الحج : ٤٠

اذن فالاسلام شرع الحرب على أنها وسيلة لا غاية لحل مشاكل المجتمع فى وقت كانت القوة الغاشمة هى العائق الوحيد الذى يقف أمام دعوة الحق .

وهذا مما يرد على الطاعنين فى الاسلام بأنه « دين حرب » وقام على السيف[1] .

* * *

تعريف الجهاد

● **تعريفه لغة** : الأصل الاشتقاقى لمادة هذه الكلمة : «جهاد» يرجع الى المشقة . يقال : جهدت نفسى وأجهدت ، والجهد : طاقة ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين لا يجدون الا جهدهم** ﴾(٢) ، (٣) .

وقال صاحب القاموس : الجهد الطاقة ، ويضم المشقة ، واجهد جهدك : ابلغ غايتك[4] .

وقال فى المغرب : الجهاد مصدر : جاهدت العدو جهادا اذا قاتلته أو بذل كل منهما جهده ــ أى طاقته ــ فى دفع صاحبه ، فهى صيغة مشاركة من الجهد وهو الطاقة والمشقة . كما أن القتال مشاركة فى القتال ، ثم غلب فى الاسلام على قتال الكفار ونحوه .

وقال الراغب فى مفردات القرآن : والجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع فى مدافعة العدو . وتستعمل كلمة جهاد بمعناها اللغوى الأعم[5].

---

(١) انظر : الجهاد فى القرآن الكريم ــ عطية الدسوقى عمر ، تقديم محمد متولى الشعراوى ص ٢ ــ ٥
(٢) التوبة : ٧٩
(٣) معجم مقاييس اللغة ــ لابن فارس جـ ١ ص ٤٨٦
(٤) الجزء الأول ص ٢٨٦
(٥) نقلا عن آثار الحرب فى الفقه الاسلامى ص ٣٢

● **تعريفه عند الفقهـاء :**

١ ــ **الحنابلة** : مصدر جاهد : جهادا ومجاهدة من جهد اذا بلغ فى قتـل عدوه ، وشرعا قتال الكفار خاصة[١] .

٢ ــ **الحنفية** : الجهاد : غلب فى عرف الشرع على جهاد الكفار وهو دعوتهم الى الدين الحق وقتالهم ان لم يقبلوا .

وعنـد بعض الحنفية : هو بذل الوسـع والطاقة فى سـبيل الله عز وجل بالنفس والمـال واللسـان أو غير ذلك أو المبالغة فى ذلك[٢] .

٣ ، ٤ ــ **المـالكية والشافعية** : كلا منهم فى تعريفه يدور على أنه قتـال الكفار .

* * *

● **المقارنة بين التعريف اللغوى والاصطلاحى :**

١ ــ وبهذا يتبين أن المعنى اللغوى يشترك مع المعنى الاصطلاحى فى بذل الوسـع واستفراغ الجهد .

٢ ــ ويتميز التعريف الاصطلاحى لكلمة جهاد بأنه بذل الوسـع فى نصرة دين الله أو صـيانته من عبث العابثين اما بالدعـوة والبيـان واما بالسيف والسنان ، فهو بهذا الاعتبار أخص من التعريف اللغوى .

* * *

● **اهـداف الجهـاد :**

شرع الله تعالى الجهاد لاخراج الناس من الظلمات الى النور من جهة ، ولتكون كلمة الله هى العليـا من جهة ثانية ، ولحماية المسلمين من أن يفتنوا فى دينهم أو تسـتباح حرماتهم وتحتل أرضهم من جهة ثالثة ،

---

(١) مطالب اولى النهى جـ ٢ ص ٤٩٧
(٢) آثار الحرب ص ٣٣

وكل هـذه الأمور يجب أن تستمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا يمكن استمرار تحقيقها الا باستمرار الجهاد فى سبيل الله .

وقـد اقتضت مشـيئة الله أن يوجـد فى الأرض حزبه وحزب الشـيطان ، وأن يكون بجانب الحق الباطل ، وأن يعيش على وجـه الأرض محقون ومبطلون ، وأن يصطرع هؤلاء وأولئك من أول الحياة الى آخرها .

قال تعالى : ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم منى هـدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النـار ، هم فيها خالدون** ﴾(١) .

فما دام فى الأرض مسـلمون ـ ولا بد أن يكونوا ـ وما دام فى الأرض كافرون ـ ولا بد كذلك أن يكونوا ـ فلا بد من وجـود الصراع بين المسـلمين والكافرين لتبـاين طبيعة الاسـلام والكفر ، فالاسـلام يصر على تحرير الناس من عبادة كل ما سـوى الله وتعبيدهم لله وحـده ، والكفر يصر على بقـاء النـاس فى الظلمـات ، بل على اخراجهم من النـور الى الظلمـات ، وتعبيـدهم لأرباب متفرقين من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، اولئك اصحاب النـار ، هم فيها خالدون** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينـكم ان استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينـه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة ، واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾(٣) .

---

(١) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ (٢) البقرة : ٢٥٧

(٣) البقرة : ٢١٧

والواقع يؤيد اصرار أعداء الله على صد الناس عن دين الله وغدرهم بالمسلمين وعدم الوفاء بعهودهم لهم ، وأنه لا يجدى فى تقويمهم الا القضاء على رؤوس الفتنة من قادتهم واذلالهم بالجهاد فى سبيل الله ، وهو أمر دائم ما دام فى الأرض كفر واسلام . ولهذا كانت آخر مرحلة من مراحل الجهاد صريحة صارمة لا تقبل تأويلا ولا تحريفا ، كما قال تعالى :

﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، ان الله يحب المتقين . كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة ، يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ، واولئك هم المعتدون . فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ، ونفصل الآيات لقوم يعلمون . وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ، اتخشونهم ، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم ﴾(١) ، (٢) .

* * *

● **حكم الجهاد :**

تنقل من كتب فقهاء هذه الأمة حكم الجهاد فى الاسلام ليتضح حكمه أمام المسلم ليكون من ثم عاملا حسب قدرته على العمل ومجاهدا حسب قدرته على الجهاد ولينطرح بالتالى عذر العلماء غير العاملين .

---

(١) التوبة : ٧ ــ ١٥

(٢) انظر : حقيقة الجهاد فى سبيل الله وغايته فى الاسلام ــ عبد الله ابن أحمد قادورى .

قال فى « بلغة السالك لأقرب المسالك » ــ وهو على مذهب مالك : « الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله سنة .. وفرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ويتعين (أى يصير واجبا عينيا كالصلاة) بتعيين الامام ، وبهجوم العدو على محلة قوم فيتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة .. (ولو منعهم المولى والزوج والسيد ورب الدين إن كان مدينا) ، ويتعين أيضا بالنذر ، وللوالدين منعه فى فرض الكفاية فقط ، وفك الأسير من الحربيين ان لم يكن له مال يفك فرض كفاية وان أتى على جميع أموال المسلمين »[1] .

وقال فى « المنهاج » للنووى ــ وهو على مذهب الشافعى :

« كان الجهاد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقيل عين .

وأما بعده فالكفار حالان :

أحدهما : يكونون ببلادهم فرض كفاية اذا فعله من فيهم من المسلمين سقط الحرج عن الباقين .

الثانى : يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن .. وان أمكن تأهب لقتال وجب الممكن على فقير وولد ومدين وعبد بلا اذن»[2].

وقال فى « المغنى » لابن قدامة ــ وهو على مذهب الحنابلة :

« الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به قوم سقط عن الباقين ويتعين فى ثلاثة مواضع :

١ ــ اذا التقى الزحفان وتقاتل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام .

٢ ــ اذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم .

---

(١) بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ــ أحمد ابن محمد الصاوى المالكى ــ باب الجهاد جـ ١ ص ٣٥٤

(٢) منهاج الطالبين ــ النووى .

٣ ــ اذا استنفر الامام قوما لزمهم النفير معه »[١] .

وقال فى « المحلى » لابن حزم ــ وهو على مذهب الظاهرية : « والجهاد فرض على المسلمين ، فاذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم فى عقر دارهم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين والا فلا .

ولا يجوز الا باذن الأبوين ، الا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرضه على كل من يمكنه اعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم .. أذن الأبوان أم لم يأذنا الا أن يضيعا أو أحدهما ، فلا يحل له ترك من يضيع بعده »[٢] .

وكل هذه التعاريف والأحكام جامعة ومانعة الا أن ابن حزم هو الأقرب الى ما نميل اليه ونأخذ به .

وقد وردت أحكام عن الجهاد وجمل واسعة وأشياء لا تحصى فى كثير من كتب الفقه الاسلامى والحديث ، لم نوردها لأن ما ذكرناه هنا كافيا ، ولم يخرج أحد من العلماء عن حدود المذكور ، والمعنى يكادون يتفقون عليه .

وهذه كما هو معلوم فريضة الجهاد فى سبيل الله ، تلك الفريضة التى فرضها الله سبحانه وتعالى وجعلها واجبة الأداء على المسلمين فى كل زمان وفى كل مكان .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن وراء فريضة الجهاد الشاقة على النفوس حكمة عظيمة فاما النصر واما الشهادة . وقد بذل المسلمون العاملون جهدهم لنيل درجة من هاتين الدرجتين . ودون التاريخ لهم ذلك وأدرك الناس خلال العهود كلها هذا منهم وتيقنوا صحة ذلك وعملوا مثل أعمالهم أو ما يقرب منها . والجهاد فى حقيقة أمره واجب على كل مسلم قادر مستطيع ليعود الانسان الى ربه ومولاه .

---

(١) المغنى ــ ابن قدامة المقدسى جـ ٨ ص ٣٤٥

(٢) المحلى ــ ابن حزم الظاهرى .

والحفاظ على الأمة الاسلامية والحفاظ على خيراتها واجب كذلك لا يمكن بحال أن يفرط فيه .

ان ايجاب الجهاد على كل قادر واستغلال المنصب والجاه من أجل ذلك واجب عينى يتهم كل انسان يتهاون فى ذلك بقول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير .. ﴾(١) .

من هذه الآية ندرك خطر القعود عن الجهاد وندرك كذلك عاقبة من لم يجاهد وهو قادر مستطيع متمكن . وندرك من هذه الآية شدة عاقبة الركون الى الدنيا وتغليبها على العمل والجهاد والدعوة فى كل العصور .

والجهاد فى هذا العصر أراه فرض عين على كل مسلم لادخال الناس فى دين الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، ويمكن لكل مسلم أن يجاهد فى سبيل الله فى هذا العصر فلا عذر لمسلم فى ترك الجهاد .. ومتى ما كبر منصب الانسان كان وجوب الجهاد فى حقه أبلغ .. فانه يستغل سمعته وشهرته فى الدعوة الى الله والجهاد فى سبيله .

وليس الاثم بساقط على أحد ما دامت الأمة الاسلامية على حالتها الراهنة ، ولا يقتصر الجهاد على أحد دون أحد ولا على أرض دون أرض .

ولا يمكن للاسلام أن ينتشر الا بالجد والصدق والاخلاص والمداومة المستمرة على الجهاد .

---

(١) التوبة : ٣٨ ، ٣٩

ولا يمكن للعمل أن ينجح الا بالثقة التامة بالله والعمل من أجله ولعل الخطورة تكمن فى مسألة الجهاد بأنه محاط ومحدد ومجهول كذلك ولكن ما علينا فان المسلم ملهم ﴿ **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** ﴾(١) ، (٢) .

* * *

سيد المجاهدين رسول الله ﷺ

لما كان الجهاد ذروة سنام الاسلام وقبته ، ومنازل أهله أعلى المنازل فى الجنة ، كما لهم الرفعة فى الدنيا ، فهم الأعلون فى الدنيا والآخرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلها فجاهد فى الله حق جهاده : بالقلب ، والجنان ، والدعوة ، والبيان ، والسيف ، والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ، ولسانه ، ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين ذكرا ، وأعظمهم عند الله قدرا .

وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه ، وقال : ﴿ **ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا** ﴾(٣) .

فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار ، بالحجة ، والبيان ، وتبليغ القرآن ، وكذلك جهاد المنافقين ، انما هو بتبليغ الحجة ، والا فهم تحت قهر أهل الاسلام ، قال تعالى :

﴿ **يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم ، وبئس المصير** ﴾(٤) .

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهاد خواص الأمة ، وورثة الرسل ، والقائمون به أفراد فى العالم ، والمشاركون

---

(١) البقرة : ٢٨٢

(٢) انظر : الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع ـ صالح اللحيدان ص ١٤١ وما بعدها .

(٣) الفرقان : ٥١ ، ٥٢ (٤) التوبة : ٧٣

فيـه والمعاونون عليه ، وان كانوا هم الأقلين عـددا ، فهم الأعظمون عنـد الله قدرا .

ولمـا كان من أفضـل الجهاد قول الحق مع شـدة المعارض ، مثـل أن تتكلم به عنـد من تخاف سـطوته وأذاه ، كان للرسـل ـ صلوات الله عليهم وسـلامه ـ من ذلك الحظ الأوفر ، وكان لنبينا ـ صلوات الله عليـه ـ من ذلك أكمل الجهاد وأتمه[1] .

* * *

جهـاد النفس

ولمـا كان جهاد أعـداء الله فى الخارج فرعا على جهاد العبـد نفسـه فى ذات الله ، كما قال النبى صلى الله عليه وسـلم : « المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[2] .

كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو فى الخارج ، وأصلا له . فانه ما لم يجاهد نفسـه أولا لتفعل ما أمرت به ، وتترك ما نهيت عنه ، ويحاربها فى الله ، لم يمكنه جهاد عـدوه فى الخارج ، فكيف يمكنـه جهاد عـدوه والانتصـاف منه ، وعـدوه الذى بين جنبيه قاهر له ، متسلط عليـه ، لم يجاهده ، ولم يحاربه فى الله ، بل لا يمكنه الخروج الى عدوه ، حتى يجاهد نفسه على الخروج .

* * *

جهـاد الشـيطان

فهذان عـدوان قد امتحن العبـد بجهادهما ، وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهمـا الا بجهاده ، وهو واقف بينهما يثبط العبـد عن جهادهما ، ويخذله ، ويرجف به ، ولا يزال يخيل له ما فى جهادهما من المشـاق ، وترك الحظوظ ، وفوت اللذات ، والمشتهيات ، ولا يمكنه

---

(١) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد ـ ابن قيم الجوزية ص ٥

(٢) مسند الامام أحمد جـ ٦ ص ٢١

أن يجاهد ذينك العدوين الا بجهاده ، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما ، وهو الشيطان ، قال تعالى : ﴿ **ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** ﴾(١) .

والأمر باتخاذه عدوا تنبيه على استفراغ الوسع فى محاربته ومجاهدته ، لأنه عدو لا يفتر ، ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس ، فهذه ثلاثة أعداء ، أمر العبد بمحاربتها وجهادها ، وقد بلى بمحاربتها فى هذه الدار ، وسلطت عليه امتحانا من الله له وابتلاء ، فأعطى الله العبد مددا وعدة وأعوانا وسلاحا لهذا الجهاد ، وأعطى أعداءه مددا وعدة وأعوانا وسلاحا ، وبلا أحد الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلوا أخبارهم ويمتحن من يتولاه ويتولى رسله ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ، وكان ربك بصيرا** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض** ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم** ﴾(٤) .

فأعطى عباده الأسماع والأبصار ، والعقول والقوى ، وأنزل عليهم كتبه ، وأرسل اليهم رسله ، وأمدهم بملائكته وقال لهم : ﴿ **انى معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾(٥) .

وأمرهم من أمره بما هو من أعظم العون لهم على حرب عدوهم ، وأخبرهم أنهم ان امتثلوا ما أمرهم به لم يزالوا منصورين على عدوه وعدوهم .

* * *

(١) فاطر : ٦
(٢) الفرقان : ٢٠
(٣) محمد : ٤
(٤) محمد : ٣١
(٥) الأنفال : ١٢

مراتب الجهـــاد

الجهاد أربع مراتب :

١ ــ جهاد النفس .
٢ ــ جهاد الشـــيطان .
٣ ــ جهاد الكفار .
٤ ــ جهاد المنافقين .

١ ــ جهـاد النفس :

ينقسم جهاد النفس الى أربع مراتب :

احداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ، ودين الحق الذى لا فلاح لها ، ولا ســعادة فى معاشها ومعادها الا به ، ومتى فاتها علمه ، شقيت فى الدارين .

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعــد علمه ، والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة اليــه ، وتعليمه من لا يعلمه ، والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ، ولا ينفعه علمــه ، ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : أن يجاهدها على لصبر على مشــاق الدعوة الى الله ، وأذى الخلق ، ويتحمــل ذلك كله لله ، فاذا اســتكمل هذه المراتب الأربع ، صــار من الربانيين ، فان الســلف مجمعون على أن العــالم لا يســتحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ، ويعمل به ، ويعلمه ، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماوات .

٢ ــ جهاد الشيطان :

أما جهاد الشــيطان فمرتبتان :

احداهما : جهاده على دفع ما يلقى الى العبد من الشبهات والشكوك القادحة فى الايمان .

والثانية : جهاده على دفع ما يلقى اليه من الارادات الفاسدة والشهوات .

فالجهاد الأول : يكون بعده اليقين ، والثانى : بعده الصبر .

قال تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾(١) .

فأخبر أن امامة الدين ، انما تنال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع الشهوات والارادات الفاسدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

٣ ـ الجهاد باللسان ـ اى الدعوة :

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب :

بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار أخص باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللسان .

٤ ـ جهاد المنافقين والفاسقين :

وأما جهاد أرباب الظلم ، والبدع ، والمنكرات ، فثلاث مراتب :

الأولى : باليد اذا قدر ، فان عجز ، انتقل الى اللسان ، فان عجز ، جاهد بقلبه ، فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد ، و « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق »(٢) .

* * *

(١) السجدة : ٢٤

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ٤٧/١٥١٧ باب ذم من مات ولم يغز ـ رقم الحديث (١٩١٠) ، واخرجه ابو داود (٢٥٠٢) فى الجهاد : باب كراهية ترك الغزو ، والنسائى (٣٠٩٩) فى الجهاد ـ باب التشديد فى ترك الجهاد .

اكمل الخلق فى الجهـاد

وأكمل الخلق عنـد الله ، من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون فى منازلهم عند الله ، تفاوتهم فى مراتب الجهاد ، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسـله ، فانه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد فى الله حق جهاده ، وشرع فى الجهاد من حين بعث الى أن توفاه الله عز وجل ، فانه لمـا نزل عليه : ﴿ **يا ايها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر** ﴾(١) .

شمر عن سـاق الدعوة وقام فى ذات الله أتم قيـام ، ودعا الى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا ، ولمـا نزل عليه : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾(٢) فصدع بأمر الله لا تأخـذه فيـه لومة لائم ، فدعا الى الله الصـغير والكبير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والأحمر والأسود ، والجن والانس .

ولمـا صـدع بأمر الله ، وصرح لقومه بالدعوة ، وباداهم بسب آلهتهم ، وعيب دينهم ، اشـتد أذاهم لـه ، ولمن اسـتجاب لـه من الصحابة ، ونالوه ونالوهم أنواع الأذى ، وهـذه سـنة الله عز وجل فى خلقه كما قال تعالى : ﴿ **مـا يقال لك الا ما قـد قيل للرسل من قبـلك** ﴾(٣) .

وقال ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن** ﴾(٤) .

وقال : ﴿ **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا سـاحر او مجنون . أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون** ﴾(٥) .

فعزى الله سـبحانه نبيه بذلك ، وأن له أسـوة بمن تقدمه من المرسـلين ، وعزى اتبـاعه بقـوله : ﴿ **أم حسبتم ان تدخلوا الجنـة ولمـا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، الا ان نصر الله قريب** ﴾(٦) .

---

(١) المـدثر : ١ ـ ٤
(٢) الحجر : ٩٤
(٣) فصلت : ٤٣
(٤) الأنعام : ١١٢
(٥) الذاريات : ٥٢ ، ٥٣
(٦) البقرة : ٢١٤

الدعوة الأولى الى الاسلام

ولما دعا صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل ، استجاب له عباد الله من كل قبيلة ، فكان أسبقها الى الاسلام أبو بكر رضى الله عنه ، فآزره فى دين الله ، ودعا معه الى الله على بصيرة ، فاستجاب لأبى بكر : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد ، وسعد بن أبى وقاص .

وبادر الى الاستجابة له صلى الله عليه وسلم صديقة النساء : خديجة بنت خويلد ، وقامت بأعباء الصديقية ، وقال لها : « لقد خشيت على نفسى » فقالت له : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا[1] .

ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة والأخلاق والشيم ، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا ، فعلمت بكمال عقلها وفطرتها ، أن الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والشيم الشريفة ، تناسب أشكالها من كرامة الله ، وتأييده ، واحسانه ، ولا تناسب الخزى والخذلان .

* * *

المعذبون فى الله فى صدر الاسلام

وبادر الى الاسلام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان ابن ثمان سنين ، وقيل : أكثر من ذلك ، وكان فى كفالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذه من عمه أبى طالب اعانة فى سنة محل .

وبادر زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما لخديجة ، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ، وكذلك أسلم القس ورقة بن نوفل ، وتمنى أن يكون جذعا اذ يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه[2] . وكذلك

---

(١) رواه البخارى جـ ١ ص ٢١ ، ٢٧ فى باب بدء الوحى الى رسول الله .

(٢) أخرجه البخارى جـ ٧ ص ١٠٥ فى المناقب .

بادر الى الاسلام آل ياسر فكانوا أول من عذب فى الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر بهم وهم يعذبون يقول : « صبرا يا آل ياسر ، فان موعدكم الجنة »[1] .

ومر عدو الله أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر ، وهى تعذب وزوجها وابنها ، فطعنها بحربة فى فرجها حتى قتلها فكانت أول قتيلة فى الاسلام . وكذلك أسرع وبادر الى الاسلام بلال بن رباح فعذب فى الله أشد العذاب فهان على قومه وهانت عليه نفسه فى الله ، وكان كلما اشتد عليه العذاب يقول : أحد أحد ، فيمر به ورقة بن نوفل فيقول : أى والله يا بلال ، أحد أحد ، أما والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا[2] .

* * *

الهجرة الى الحبشة

ثم بدأ عباد الله يدخلون فى هذا الدين شيئا فشيئا وقريش تشتد عليهم بالأذى لتفتنهم عن دينهم ، وهم يشكون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأمرهم بالصبر الى أن اشتد البلاء ، أذن الله لهم بالهجرة الأولى الى الحبشة ، وكان أول من هاجر اليها عثمان بن عفان ، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أهل هذه الهجرة الأولى اثنى عشر رجلا ، وأربع نسوة . ثم بلغهم أن قريشا قد كفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فرجعوا الى مكة فرأوا أن الأمر كان كذبا فرجعوا الى الحبشة مرة ثانية وبقوا حتى رجعوا كلهم أو أكثرهم فى موقعة خيبر وأسهم لهم فيها .

* * *

---

(١) مجمع الزوائد جـ ٩ ص ٢٩٣

(٢) أخرجه الزبير بن بكار فيما ذكره الحافظ فى « الاصابة » فى ترجمة ورقة عن عثمان عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عروة بن الزبير (الاصابة جـ ٣ ص ٦٣٤) .

ما لقى ﷺ فى اول الدعوة من صنوف العذاب

وقد بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة فى مكة يدعو الى الله ، يلقى فيها من ألوان العذاب ما لا يعلم الا الله ، حتى أذن الله له بالهجرة • وهى الهجرة التى فرق الله فيها بين أوليائه وأعدائه ، وجعلها مبدأ لاعزاز دينه ونصر عبده ورسوله[1] •

* * *

عرض الرسول نفسه على قبائل العرب

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة ، فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين ، يوافى الموسم كل عام ، يتبع الحجاج فى منازلهم ، وفى المواسم بعكاظ ، ومجنة ، وذى المجاز ، يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه ، حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ، ويقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا اله الا الله تفلحوا ، وتملكوا بها العرب ، وتذل لكم بها العجم ، فاذا آمنتم ، كنتم ملوكا فى الجنة » • وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابىء كذاب ، فيردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ، ويؤذونه ، ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك ، حيث لم يتبعوك ، وهو يدعوهم الى الله ويقول : « اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا » •

قال : وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين آتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامر بن صعصعة ، ومحارب بن حفصة ، وفزارة وغسان ، ومرة وحنيفة ،

---

(١) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد ــ لابن قيم الجوزية جـ ٣ ص ٥ ــ ٢٥ ، الجهاد فى الاسلام ــ محمد محمود الزامينى ، ص ٩ وما بعدها .

وسليم ، وعبس ، وبنو النضر ، وبنو البكاء ، وكنده ، وكلب ، والحارث بن كعب ، وعذرة ، والحضارمة ، فلم يستجب منهم أحد[1] .

* * *

اجتماعه الأول بأهل يثرب ـ وهى العقبة الأولى

وكان مما صنع الله لرسوله أن الأوس والخزرج كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان سيخرج ، فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، وكانت الأنصار يحجون البيت كما كانت العرب تحجه دون اليهود ، فلما رأى الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الله عز وجل ، وتأملوا أحواله ، قال بعضهم لبعض : « تعلمون والله يا قوم أن هذا الذى توعدكم به اليهود ، فلا يسبقنكم اليه » .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى عند العقبة فى الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فأسلموا[2] .

* * *

بيعة العقبة الثانية لأهل يثرب واشتراطهم عليه

ثم رجعوا الى المدينة فدعوهم الى الاسلام ، ففشا الاسلام فيها حتى لم يبق دار الا وقد دخلها الاسلام ، فلما كان العام المقبل ، جاء منهم اثنا عشر رجلا ، فأتمروا بينهم على أن يأخذوا الرسول معهم وقالوا : حتى متى يطرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جبال مكة ويخاف ، وعرضوا عليه الأمر فواعدهم بيعة العقبة ، فقال له عمه العباس : يا بن أخى ، ما أدرى هؤلاء القوم الذين جاءوك ،

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ من طريق الواقدى ، وأخرجه أحمد جـ ٤ ص ٣٤١ ، جـ ٣ ص ٤٩٢ من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد .

(٢) أخرجه ابن هشام فى السيرة ، جـ ١ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩

انى ذو معرفة بأهل يثرب ، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما نظر العباس فى وجوهنا[1] . قال : هؤلاء قوم لا نعرفهم ، هؤلاء أحداث .

فقلنا : يا رسول الله ، علام نبايعك ؟ قال : « تبايعونى على السمع والطاعة ، فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقولوا فى الله لا تأخذكم لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم وتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » ، فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة ، وهو أصغر السبعين ، فقال : رويدا يا أهل يثرب ، انا لم نضرب اليه أكباد المطى الا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وان اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فاما أنتم صابرون على ذلك ، فخذوه وأجركم على الله ، واما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا : يا أسعد ، أمط عنا يدك ، فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقيلها ، فقمنا اليه رجلا رجلا ، فأخذ علينا وشرط يعطينا بذلك الجنة[2] . ثم انصرفوا الى المدينة .

***

بعثه معهم مصعب بن عمير وعمر بن أم مكتوم

وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلمان من أسلم منهم القرآن ، ويدعوان الى الله عز وجل فلم يلبثا الا قليلا حتى فشا الاسلام وظهر فى المدينة ثم رجع مصعب الى مكة ، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من

---

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ــ ابن قيم الجوزية جـ ٣ ص ٤٦ ، الجهاد فى الاسلام ــ محمد محمود الزامينى ، ص ١٦

(٢) اخرجه أحمد فى المسند جـ ٣ ص ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، والبيهقى فى السنن جـ ٣ ص ٣

الأنصـــار من المسلمين والمشركين ، وزعيم القوم البراء بن معرور ، فلما كانت ليلة العقبة أكدوا البيعة مرة ثانية .

* * *

اول هجرة المسـلمين الى المدينة

وبدأت المسـلمون بالهجرة من مكة الى المدينة بكثرة ، ولم يبق من المسـلمين الا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، أقاما هـذان الاثنان بأمر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم لهما ، والا من احتبسـه المشركون كرها ، وقد أعـد رسـول الله صلى الله عليـه وسلم جهازه ينتظر منى يؤمر بالخروج وأعـد أبو بكر جهـازه ليكون فى معيتـه ، ثم ان المشركين أرادوا المكر برسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فسـلمه الله منهم وامتن عليـه بقوله :

﴿ واذ يمكر بك الذين كفـروا ليثبتوك او يقتلوك او يخـرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير المـاكرين ﴾(١) .

* * *

خروج النبى مهاجرا الى المدينة

عندما أذن للرسـول صلى الله عليـه وسـلم بالخروج من مكة خرج ومعه صـديقه أبو بكر الصـديق ، ثم مضى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وأبو بكر الى غار ثور ، فدخلاه ، وضرب العنكبوت على بابه .

وكانا قـد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثى ، وكان هاديا ماهرا بالطريق بعـد خروجهما من الغر ، ولقد سـارا بمشيئة الله تحرسـهما عينه ، وتحيط بهما عنايته مع ما حدث فى طريقهما من الغرائب والعجائب والمعجزات التى أجراها الله على يد عبده ورسـوله .

* * *

---

(١) الأنفال : ٣٠.

قدومه المدينة

وبلغ الأنصار مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة . وقصده المدينة فكانوا يخرجون كل يوم ينتظرونه أول النهار فاذا اشتد الحر رجعوا الى بيوتهم ، فلما كان يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة ، أشرق بوجهه الكريم على أبناء قبيلة الأوس والخزرج فبادروا الى السلاح يتلقونه به ، ثم انطلقت ألسنتهم جميعا بالتكبير فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم ، وحيوه بتحية النبوة ، وأحدقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تغشاه ، والوحى ينزل عليه : ﴿ **فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾(١) فسار حتى نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف وأسس مسجد قباء ، وبقى فيها عدة ليال ثم سار والأنصار محدقة به لا يمر على بطن من بطونها الا أخذوا بخطام راحلته ، هلم الى العدد والعدة والسلاح والمنعة ، فقال : « خلوا سبيلها ، فانها مأمورة » فلم تزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار الا رغبوا اليه فى النزول عليهم ، ويقول : « دعوها فانها مأمورة » فسارت حتى وصلت الى موضع مسجده اليوم وبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا ثم رجعت الى موضعها الأول فبركت فيه(٢) .

* * *

بناء المسجد النبوى الشريف

وأول شىء بدأ عمله فى المدينة بناء مسجده الشريف وقد عمل فيه بنفسه صلى الله عليه وسلم ليكون قدوة لغيره ، وتشجيعا لأصحابه ، ولذلك قال قائلهم : « لئن قعدنا والنبى يعمل لذاك منا العمل المضلل » . وليكون هذا المبنى رابطة هذا العقد ولتؤدى فيه

---

(١) التحريم : ٤

(٢) انظر : زاد المعاد فى هدى خير العباد ـ ابن قيم الجوزية ص ٥٨ ، ٥٩ ، الجهاد فى الاسلام ـ محمد محمود الزامينى ص ١٨

مصالح الدنيا والآخرة ، وجامعا عاما للمسلمين يتوادون ويتعارفون ويتعلمون ويتشاورون وينظرون فى أمورهم .

ولما استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأيده الله بنصرة المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التى كانت بينهم ؛ فمنعه أنصار الله وكتيبة الاسلام من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ، وكان أولى بهم من أنفسهم .

* * *

شدة عداوة العرب للمؤمنين

عند ذلك رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ فى القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ﴾(١) .

ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال:

﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾(٢) .

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين .

اما « فرض عين » على أحد القولين ، أو « فرض كفاية » على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين ، اما فى القلب ، واما باللسان ، واما بالمال ، واما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع .

* * *

---

(١) الحج : ٣٩ (٢) البقرة : ١٩٠

الربـــاط

● **الرباط** : هو الاقامة بالسلاح فى المكان الذى يتوقع هجوم العدو فيه للحراسة والدفاع ، وهو قسمان :

١ ــ حراســة الحدود لصــد العدوان الخارجى ، وهذا ما يقوم به الجيش المنظم .

٢ ــ حراســة داخل البلاد وهو ما تقوم به قوى الأمن والشرطة .

● **مكان الرباط** : هو الموقع الذى يتوقع هجوم العدو عليه ، وتكون هــذه المواقع عادة آخر الحدود الآمنة للمسلمين .

● **فضــل الرباط** : المرابط انسان مخلص يقف على خط النار دفاعا عن المسلمين وحماية لأوطانهم ، فهو فدائى غيور يبيع نفسه لله ويشترى جنة عرضا السموات والأرض . قال تعالى : ﴿ **ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن اوفى بعهــده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** ﴾(١) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى ســبيل الله خير من ألف يوم فيما ســواه من المنازل »(٢) .

● **حكم الرباط فى سبيل الله :**

الرباط فرض كفاية فى الأحوال العادية ، واذا فعله البعض بصورة كافيــة سقط عن بقية المســلمين ، واذا لم يفعله أحــد أثم الجميع ،

---

(١) التوبة : ١١١

(٢) البخارى : الجهاد ص ٧ ، ابن ماجه جـ ٢ ص ٩٢٤ فصــل الرباط فى سبيل الله .

لأنه يتوقف عليه حماية وحراسة أرض المسلمين وأموالهم وأعراضهم ومصالحهم ، أما فى غير الأحوال العادية فهو فرض عين على القادر وهؤلاء المرابطون هم المقاتلون فى المعارك لأنهم مسلمون ومدربون ومستعدون .

● **أجر من مات مرابطا فى سبيل الله :**

المرابط مجاهد فى أخطر الأماكن وأمسها بسلامة الأمة وأمنها ؛ فهو فى عبادة وثواب كبير ، واذا مات فى الرباط استمر ثوابه وأجره الى يوم القيامة . وأمنه الله من الفزع يوم البعث والحشر وحرم النار عليه وأوجب له الجنة . قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله»[2] .

* * *

الشهداء

الشهيد : هو من قتل فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر .

وهو الذى يجود بنفسه فى ساحة الشرف ، والجود بالنفس هو أقصى غاية الجود كما قال الشاعر العربى مرواذ بن أبى حفصة :

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومفهوم الشهادة يتسع ليشمل من يموت فى حالة دفاع عن دينه وعرضه وشرفه كما جاء ذلك فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ــ الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٦٦
(٢) رواه أحمد فى المسند وغيره ، الترغيب والترهيب جـ ٢ ص ٣٧٣

« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[1] .

ومن الشهداء شهداؤنا فى معارك التحرير فى حرب رمضان وما قبلها وما بعدها ، لقد أدوا واجبهم واستعذبوا الموت فى سبيل الله ولفظوا أرواحهم وجادوا بحياتهم دفاعا عن أوطانهم وأمتهم فلهم جزاء الله فى الجنة وثوابه فى الآخرة .

● **حكم الشهداء** : لا يغسل الشهداء ولا يكفنون بل تترك عليهم ثيابهم وينزع عنهم الأشياء التى لا تصلح للكفن كالفرو أو الدرع ، كما ينزع عنهم أدوات الحرب لينتفع بها غيرهم ، ولا يصلى على الشهداء اكتفاء بشرف الشهادة عند جميع الأئمة عدا الحنفية فانهم قالوا : يصلى على الشهيد

● **فى حكم الشهداء** : عد عليه الصلاة والسلام أقواما وأخبر أنهم من الشهداء ، ومن هؤلاء الذين ماتوا بالطاعون من غير فرار منه ، ومنهم الذين ماتوا غرقى أو حرقى أو ماتوا بمرض البطن أو الصدر ، ومنهم المرابطون فى سبيل الله .

● **ثواب الشهداء** : الشهداء عادة أكرم الناس نفوسا وأخلصهم قلوبا ، انهم يحملون أرواحهم على أكفهم ويجودون بها فى سبيل الله رخيصة عليهم غالية فى موازين الحق ، ولذلك يهبهم الله الخلود فى حياة برزخية أبدية .

قال الله تعالى : ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون** ﴾[2] .

ومن ثواب الشهداء ما يأتى :

١ ــ الشهيد فى الفردوس الأعلى من الجنة تسبح روحه حول

---

(١) الترمذى جـ ٤ ص ٣٠
(٢) البقرة : ١٥٤

العرش وتأوى الى قناديل من نور ، ولها أعظم المنازل عنـد الله وفى جواره وفضله ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقـا . ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليما** ﴾(١) .

٢ ــ جراح الشهيد تأتى يوم القيامة وهى وسـام على صـدره تطفح دما ، لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك .

٣ ــ الشهداء أحيـاء عند الله ، يتمتعون بنعيم الجنة ، ويكافأون بأرفع المنازل فى جنت عـدن عند مليك مقتدر . وقد تكفـل الله أن ينقل أخبار الشهداء الى المؤمنين بيانا لفضـل الشهادة وترغيبا للعمـل من أجلها ، عن جابر أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « لمـا أصيب اخوانكم بأحـد جعل الله أرواحهم فى جـوف طير خضر ترد أنهار الجنـة وتأكل من ثمارها ثم تأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش ، فلما وجـدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا عنا أنا أحيـاء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهـاد ، ولا يتكلوا عنـد الحرب ، فقـال الله : أنا أبلغهم فأنزل الله قـوله : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون** ﴾(٢) .

٤ ــ الشهادة فى سبيل الله سـنام العمل الصالح وذروة الأعمال الكريمة وأفضل المـآثر والأمجاد ، وهى أحسـن ما يلقى به العبد ربه وأكرم تاج يحمله صاحبه وأبقى ذكرى وأخلد عملا(٣) .

---

(١) النساء : ٦٩ ، ٧٠ (٢) آل عمران : ١٦٩

(٣) انظر : الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ــ عبد الله شـحاتة ص ١٤٧ ــ ١٥٠

اعـداد الأمـة للجهـاد

الاسـلام رسالة وفكرة وعقيدة ومنهج ، وقد اهتم ببناء الانسان وتكوينه كما عنى ببث الروح المعنوية العاليـة والفكرة السليمة والهدف الواضح ، لقـد زين الايمان فى قلوب المؤمنين ووضح دعائمه وآدابه ورسـم للأمة طريق النصر • وأعدها للقتال اعدادا سليما •

ومن وسائل الاعداد اتباع الدعائم الآتية :

١ ــ الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر •

لقد كان الايمان حجر الأسـاس فى تحول العرب من حفاة بداة متخلفين الى أمة متحضرة مؤمنة متعاونة تؤمن بالله ربا وبالاسلام دينـا وبمحمد رسـولا وتتبع أحكام هـذا الدين فى اقامة الصـلاة ، وايتاء الزكاة والصيام والحج ، ثم تتسـابق الى ميدان القتـال طلبا للشهادة وأملا فى ثواب الآخرة ، ولا زال العـامل البشرى من أهم العـوامل الحاسمة فى المعركة ، وقـد أثبتت حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م (الموافـق ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) أهمية هذا العامل ، فقـد تسابق الرجال يعبرون القنـاة ويجتازون خط بارليف ، ويسـتعذبون الموت فى سبيل الله ، حتى حطمـوا أسـطورة جيش الدفاع الاسرائيلى بأنه الذى لا يقهر ، وأثبتوا أن الايمان عامل حاسم من أهم عوامل النصر •

٢ ــ اعداد العدة وتجهيز أدوات القتال والتدريب عليها واستخدام أحـدث الأسلحة ، وبذل المـال الكافى لشراء السـلاح الحاسـم فى المعـركة ، قال تعـالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة** ﴾(١) أى أقصى ما نستطيع من قوة للدفاع عن أوطاننا ودِيننا ، وهـذه القوة تكون فى كل عصر بما يناسـبه ، فمن هذه القـوة تزويد الأمة بمختلف أدوات الحرب الحديثة من مدافع وبوارج وطائرات ومصفحات وصواريخ وقنابل وغير ذلك •

---

(١) الأنفال : ٦٠

كذلك يجب على المسلمين أن يتعلموا الفنون التى يتوقف عليها صنع هذه المعدات لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

٣ ــ وحدة الصف ، وتماسك طوائف الأمة ، وترابط المقاتلين والمجاهدين . قال الله تعالى : ﴿ **أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** ﴾(١) .

٤ ــ البعد عن أسباب الخلاف والنزاع ، فان يد الله مع الجماعة . قال الله تعالى : ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين** ﴾(٢) .

٥ ــ الثبات فى الميدان وطاعة الله والتزام أوامره والبعد عن معاصيه . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾(٣) .

٦ ــ الصبر على المكاره وتحمل تبعات الحرب وتكاليف الجهاد . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾(٤) .

٧ ــ عدم تصديق الاشاعات والأراجيف ومحاولة بث اليأس والقنوط ، والقضاء على أساليب العدو ، وعلى الحرب النفسية التى يشنها رغبة منه فى تثبيط الهمم والتيئيس من النصر . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾(٥) .

٨ ــ الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا** ﴾(٦) .

---

(١) الصف : ٤
(٢) الأنفال : ٤٦
(٣) الأنفال : ٤٥
(٤) آل عمران : ٢٠٠
(٥) الحجرات : ٦
(٦) النساء : ٧١

٩ ــ طاعة القائد وتنفيذ الأوامر والمحافظة على الضبط والنظام .

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾(١) .

١٠ ــ عدم الفرار من الميدان والاستماتة فى القتال حتى النصر أو الشهادة ، وأن الشجاعة صبر ساعة ، ورب ثبات لحظات يحول المعركة من هزيمة الى نصر ، ولذلك حرم الله الفرار من المعركة . قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير** ﴾(٢) .

١١ ــ الثقة بأن النصر من عند الله وأن على المؤمن أن يعد العدة وأن يأخذ فى الأسباب ثم يتوكل على الله ﴿ **وما النصر الا من عند الله** ﴾(٣) .

١٢ ــ الثبات فى المحنة والهزيمة ، والثقة بأن مع العسر يسرا ومع الشدة فرجا . وتقبل الهزيمة بروح المتوثب للثأر الواثق بأن الأيام دول يوم لك ويوم عليك . قال تعالى : ﴿ **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾(٤) ، (٥) .

* * *

الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد

● **حرص الصحابة على معرفة افضل الأعمال وممارستها :**

لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حرصهم على الاكثار من طاعة الله والاستزادة منها ــ يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال التى ترضى ربهم عنهم ، فيجيبهم على

---

(١) النساء : ٥٩ (٢) الأنفال ١٥ ، ١٦
(٣) الأنفال : ١٠ (٤) آل عمران : ١٤٠
(٥) الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ــ عبد الله شحاتة ص ١٤٣ــ١٤٥

أسئلتهم ، وقد تختلف اجابته من شخص الى آخر ، أو من حالة لأخرى ، اذ أن السائل قد يقصه أداء عمل من الأعمال الصالحة ، فيذكره الرسول صلى الله عليه وسلم حثا له على أدائه ، وقد يكون المقام يقتضى أداء عمل آخر من الأعمال الصالحة ، لحاجة المسلمين اليه ، فيذكره صلى الله عليه وسلم فى اجابته حضا على القيام به .. وهكذا .

سأل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما روى ذلك هو قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أى العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادنى[1] .

فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد فى هذا الحديث فى الدرجة الثالثة بعد حقه سبحانه وتعالى ، وحق الوالدين .

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد ، قال : « لا أجده » ، قال : « هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك ، فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر » ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : ان فرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له حسنات[2] .

هذا الصحابى السائل ــ كان يعلم فضل الجهاد ــ فأراد ــ والله أعلم ــ أن يدله الرسول صلى الله عليه وسلم على عمل يساويه

---

(١) رواه البخارى جـ ٢ ص ٧ ، ٨ فى مواقيت الصلاة ــ باب فضل الصلاة لوقتها ، ومسلم جـ ١ ص ٨٩ فى الايمان ــ باب كون الايمان بالله أفضل الأعمال .

(٢) رواه البخارى رقم (٢٧٨٥) ، وفتح البارى جـ ٦ ص ٤ ، ومسلم جـ ٣ ص ١٤٩٨

يستطيع المداومة عليه فى غير وقت الحرب • أو أنه اذا عجز عن مباشرة الجهاد الذى علم فضله يأتى بالعمل الذى يعدله وهو يقدر عليه ، وفى كلتا الحالتين هو يدل على حرص الصحابة رضى الله عنهم على زيادة العلم بالأعمال التى لها فضل كبير ليزاولوها وينالوا من الله ثوابها •

وقد أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بجوابين ، كل منهما يدل على فضل الجهاد العظيم •• الجواب الأول : قوله : « لا أجده » ، أى لا أجد عملا يعدل الجهاد وهو واضح فى أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال •

الجواب الثانى : قوله : « هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر » ؟ وهذا الجواب كذلك يدل على أفضلية الجهاد على ما سواه من الأعمال ، لأن القيام المستمر الذى لا فتور معه ، والصيام المتواصل الذى لا افطار معه غير مستطاعين ، كما أجاب بذلك السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن يستطيع ذلك ؟ وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الجواب • وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن اجهاد النفس فى القيام والوصال فى الصيام ، وانما أراد أن يبين للسائل أن الاستمرار فى القيام بالأعمال الصالحة مجتمعة ــ لو كانت مستطاعة ــ قد تعدل الجهاد ، وفى هذا ما فيه من بيان فضل الجهاد فى سبيل الله •

قال الحافظ : « وهذه فضيلة ظاهرة للمجاهد فى سبيل الله تقتضى ألا يعدل الجهاد شىء من الأعمال » وقال أيضا : « قال القاضى عياض : اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد ، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد ، حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « لا تستطيع ذلك »[1] •

---

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ٥

يضاف الى ذلك تعقيب أبى هريرة رضى الله عنه : « انه فرس المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له حسنات » والظاهر أن القاضى عياض يشير الى هذا بحالات المجاهد وتصرفاته المباحة .

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : قال قيل : يا رسول الله ، أى الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مؤمن يجاهد بنفسه وماله » قالوا : ثم من ؟ قال : « مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره »[1] .

وفى هذا الحديث ـ كذلك ـ يبدو حرص الصحابة على التنافس فى الأعمال الصالحة التى هى أحب الى الله ، والسؤال هنا عن أفضل الناس ، ولا يكون أفضل الناس الا اذا أتى بأفضل ما يحبه الله ورسوله ، واجابة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة فى تعظيم الجهاد فى سبيل الله حيث جعل المؤمن المجاهد هو أفضل الناس بخلاف المؤمن المتقى الذى قصر نفسه على نفسه ، أى أن أعماله الصالحة لا تتعداه الى غيره فانه جاء فى الدرجة الثانية ، ثم إن هذا المؤمن المتقى الذى انزوى فى شعب من الشعاب لا يكون له هذه الدرجه الثانية الا اذا كان لا بد من الانزواء مثل أن يكون الزمن زمن فتنة بين المسلمين[2] .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : « لكن أفضل الجهاد ، حج مبرور »[3] .

فى هذا الحديث دلالة واضحة على فضل الجهاد وتعظيمه من وجوه .. الوجه الأول : تطلع النساء الى ما سبقهن به الرجال من هذا

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٢٨٦) . فتح البارى جـ ٦ ص ٦ ، وصحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٠٣

(٢) انظر : فتح البارى جـ ٦ ص ٧

(٣) صحيح البخارى (٢٧٨٤) . فتح البارى جـ ٦ ص ٤

الفضل . الوجه الثانى : قول عائشة رضى الله عنها : نرى الجهاد أفضل العمل ، واقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لقولها . الثالث : قوله صلى الله عليه وسلم : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور » فيكون الحج أفضل الجهاد بكونه للنساء لقوله : «لكن» وفى هذا زيادة تأكيد لكون الجهاد أفضل الأعمال لغير النساء .

وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى السفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلا فى يوم حار ، أكثرنا ظلالا صاحب الكساء ، ومنا من يتقى الشمس بيده ، قال : فسقط الصوام وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر »[1] .

ويظهر فى هذا الحديث فضل من قام بالخدمة فى الغزو وهو مفطر ، على من صام وعجز عن الخدمة لمشقة الصوم .

قال الحافظ رحمه الله : « الأجر » أى الوافر ، وليس المراد نقص أجر الصوم بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثل أجر الصوام لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصوام ... الى أن قال : « قال ابن أبى صفرة : فيه أن أجر الخدمة فى الغزو أعظم من أجر الصيام . قلت : وليس ذلك على الصوم »[2] .

قال الباحث : هو كذلك فى كل حالة تشبه هذه الحالة : من قام بأعمال الغزو كان أفضل ممن قام بعبادة لازمة شغلته عن عمل الغزو ، لأن الجهاد أفضل العمل لا سيما فى مثل هذا الوقت الذى يكون المسلمون أحوج فيه الى التعاون فى أعمال الجهاد . والله أعلم .

* * *

(١) صحيح البخارى (٢٨٩٠) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٨٤ ، صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧٨٨

(٢) فتح البارى جـ ٦ ص ٨٤

● **درجات المجاهدين :**

فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان ، كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها » .. فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نبشر الناس ؟ قال : « ان الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ؛ ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة »[1] .

بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث حدا أدنى يقف عنده من أراد دخول الجنة غير منافس فى درجاتها العلى ، وهو أن يؤمن بالله ورسوله ويقيم الصلاة ويصوم رمضان ، ولو لم يجاهد فى سبيل الله ، وحدا أعلى لمن طمحت نفسه الى الفردوس والمنافسة فى الدرجات العلى .

وعندما سمع الصحابة رضى الله عنهم الشق الأول من الحديث فرحوا به وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم بأن يبشروا الناس بذلك ؛ فانتقل بهم الى ما هو أعظم وأفضل ، وهو بيان درجات المجاهدين التى لا ينالها غيرهم من الصنف الأول .

وليس فى الحديث تسوية بين الجهاد وعدمه ، كما توهم بعض العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم : « جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها » بل فيه أن أصل دخول الجنة مضمون له جاهد أو لم يجاهد . وهذا هو الحد الأدنى كما مضى ؛ أما الحد الأعلى فقد ذكره بقوله : «ان فى الجنة مائة درجة ...» (الحديث) ، وهذه علة لترك التبشير أى لا تبشروهم بما سبق ليتجاوزوه الى الأفضل وهو أن فى الجنة مائة درجة ... الخ .

---

(١) صحيح البخارى رقم (٢٧٩٠) . وفتح البارى جـ ٦ ص ١١

كما بين ذلك الحافظ مستدلا برواية الترمذى ونصها : قلت يا رسول الله ، ألا أخبر الناس ؟ قال : « ذر الناس يعملون ، فان الجنة مائة درجة » • قال الحافظ : فظهر أن المراد : لا تبشر الناس بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزه الى ما هو أفضل منه من الدرجات التى تحصل بالجهاد[1] •

* * *

● **الجنة تحت ظلال السيوف :**

عن عبد الله بن أبى أوفى : فكتب الى عمر بن عبيد الله ، حين سار الى الحرورية يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو ، ينتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال : « يا أيها الناس ، لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية • فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اللهم منزل الكتاب • ومجرى السحاب • وهازم الأحزاب • اهزمهم وانصرنا عليهم »[2] •

وأى فضل أكبر من هذا الفضل ؟ يصول المجاهد ويجول فى حومة الوغى وهو يعلم أنه يتجول فى عرصات الجنة تحت ظل سيفه وسيف عدوه ، وما أن يسقط فى هذه الأرض حتى يرى مقعده فى الجنة وتظله الملائكة •

* * *

● **فضل الشهداء وكرامتهم :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انتدب لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه الا ايمان بى وتصديق

---

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ١٢

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ٦/١٣٦٢ باب كراهة تمنى لقاء العدو ـ رقم الحديث (٢٠) •

برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة وأدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل »[1] .

ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شىء الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »[2] .

فالمجاهد ـ كما يظهر من حديث أبى هريرة ـ رابح على كل حال ، اقتصر على عدوه فعاد الى بيته غانما مأجورا ، أم استشهد فدخل الجنة ، وهذه الأخيرة هى الكرامة التى ميز الله بها الشهيد حيث لا يتمنى أحد غيره أن يحييه الله حياة أهل الدنيا ويخرجه من الجنة ليعود الى الدنيا ليقاتل فى سبيل الله فيقتل مرارا لما رأى من الخير العظيم المترتب على الشهادة فى سبيل الله لا بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود الذى ما كان يقعد خلف سراياه الا اشفاقا على أمته بأن تكلف نفسها الخروج فى كل سرية مثله فيشق ذلك عليها ، أنه صلى الله عليه وسلم ليتمنى أن يقتل ثم يحيا ثم يقتل فى سبيل الله حبا فى كرامة الشهداء عند الله . قال الحافظ : قال ابن بطال : هذا الحديث (حديث أنس) أجل ما جاء فى فضل الشهادة[3] .

* *

● أى شىء نشتهى :

عن مسروق . قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية :

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٦) ، فتح البارى جـ ١ ص ٩٢ ، ومسلم جـ ٣ ص ١٤٩٧

(٢) رواه البخارى رقم (٢٨١٧) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٣٢ ، ومسلم جـ ٣ ص ١٤٩٧

(٣) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٣

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾(١) . قال : أما انا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم فى جوف طير خضر . لها قناديل معلقة بالعرش . تسرح من الجنة حيث شاءت . ثم تأوى الى تلك القناديل . فاطلع اليهم ربهم اطلاعة . فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شىء نشتهى ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات . فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب ! نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا »(٢) .

* * *

● **وانه فى جنة الفردوس :**

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبى الله ، ألا تحدثنى عن حارثة ــ وكان قتل يوم بدر ــ أصابه سهم غرب ــ فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء . قال : « يا أم حارثة ، انها جنان فى الجنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى »(٣) .

* * *

● **اللون لون الدم والريح ريح المسك :**

حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) آل عمران : ١٦٩

(٢) رواه مسلم جـ ٣ ص ١٥٠٢/٣٣ باب بيان أرواح الشهداء فى الجنة ــ رقم الحديث (١٢١) .

(٣) فتح البارى ــ ابن حجر العسقلانى جـ ٦ ص ١٤/٢٦ باب من أتاه سهم غرب فقتله .

أنه قال : « كل كلم يكلمه المسلم فى سبيل الله ، ثم تكون يوم القيامة كهيئتها اذ طعنت تفجر دما ، اللون لون الدم والريح ريح المسك »[1] .

* * *

● **ينطلقون فى الغرف العلى فى الجنة :**

عن نعيم بن همار الغطفانى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الشهداء أفضل ؟ قال : « الذين يلقوا فى الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك ينطلقون فى الغرف العلى فى الجنة ، ويضحك اليهم ربهم ، واذا ضحك ربك الى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه »[2] .

* * *

● **يعطى الشهيد ست خصال :**

عن قيس الجذامى ـ رجل كانت له صحبة ـ قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه : يكفر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده فى الجنة ، ويزوج من الحور العين ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ومن عذاب القبر ، ويحلى حلة الايمان »[3] .

وقال الحافظ : وروى ابن ماجه من طريق شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : ذكر الشهيد عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجاته من الحور العين ، وفى يد كل واحدة منهن حلة خير من الدنيا وما فيها » ، ولأحمد والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا : « ان للشهيد عند الله

---

(١) رواه مسلم جـ ٣ ص ١٤٩٧/١٠٦ ، البخارى رقم (٢٣٧) ، فتح البارى جـ ١ ص ٣٤٤

(٢) مسند الامام أحمد جـ ٥ ص ٣٨٧

(٣) مسند الامام احمد جـ ٤ ص ٢٠٠ ، قال البنا فى الفتح الربانى جـ ١٣ ص ٣٠ : أخرجه ابن سعد وسنده جيد .

سبع خصال » ، فذكر الحديث وفيه : « ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » (اسناده حسن ، وأخرجه الترمذى من حديث المقدام ابن معد يكرب ، وصححه)[1] .

* * *

● **لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة :**

عن عتبة بن عبد السلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « القتلى ثلاثة : مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله اذا لقى العدو قاتل حتى قتل » . قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : «فذلك الشهيد الممتحن فى خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة ، ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله اذا لقى العدو قاتل حتى يقتل » ، قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « مصمصة محت ذنوبه وخطاياه ، ان السيف محاء للخطايا وأدخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء ، ومنافق جاهد بنفسه وماله اذا لقى العدو حتى قتل فذاك فى النار ، ان السيف لا يمحو النفاق» . قال عبد الله : يقال للثوب اذا غسل : مصمص[2] .

* * *

● **تظله الملائكة بأجنحتها :**

عن ابن المنكدر قال : سمعت جابرا قال : لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينهونى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تبكيه ــ أو ما تبكيه ــ ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع »[3] .

* * *

---

(١) فتح البارى جـ ٦ ص ١٥ ، ١٦

(٢) سنن الدارمى جـ ٢ ص ٢٠٦ باب فى صفة القتل فى سبيل الله ، والطيالسى جـ ١ ص ٢٣٤ ، وابن حبان : موارد الظمآن ص ٣٨٨ ، والبيهقى جـ ٩ ص ١٦٤

(٣) رواه البخارى جـ ٥ ص ٣٩ باب من قتل من المسلمين يوم أحد، فتح البارى جـ ٧ ص ٢٧٤

● رضى الله عنهم وارضاهم :

عن أنس بن مالك قال : جاء ناس الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : أن ابعث معنا رجالا يعلموننا القرآن والسنة . فبعث اليهم سبعين رجلا من الأنصار . يقال لهم القراء . فيهم خالى حرام يقرءون القرآن . ويتدارسون بالليل يتعلمون . وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد . ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة . وللفقراء . فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم . فعرضوا لهم فقتلوهم . قبل أن يبلغوا المكان . فقالوا : « اللهم ! بلغ عنا نبينا ، انا قد لقيناك فرضينا عنك . ورضيت عنا » . قال : وأتى رجل حراما ـ خال أنس ـ من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام : فزت ، ورب الكعبة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ان اخوانكم قد قتلوا . وانهم قالوا : اللهم ! بلغ عنا نبينا ، انا قد لقيناك فرضينا عنك . ورضيت عنا »[1] .

* * *

● افضل الدور واحسنها (دار الشهداء) :

عن سمرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء »[2] .

* * *

● الأوسمة النبوية للمجاهدين (سيف من سيوف الله) :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة

---

(١) رواه مسلم جـ ٣ ص ١٥١١/٤١ باب ثبوت الجنة للشهيد ـ رقم الحديث (١٤٧) .

(٢) رواه البخارى جـ ٣ ص ٢٠٢ باب درجات المجاهدين فى سبيل الله .

ففتح له » وقال : « ما يسرنا أنهم عندنا » قال أيوب : أو قال . « ما يسرهم أنهم عندنا » وعيناه تذرفان[1] .

اذا كان من يسمونهم بالقواد العظام من عباد الدنيا والطغاة والجاه والثناء يستبسلون فى بعض المعارك مع أعدائهم لينالوا رتبا عسكرية أو تخلد ذكراهم ـ كما يقولون ـ باطلاق أسمائهم على بعض الشوارع فى المدن أو غير ذلك مما يروته تكريما لهم ، فان المجاهد المسلم ينال أشرف ثناء وينال أعلى الأوسمة الالهية والنبوية ، ثناء صدق ووسام شرف ، وها هو أحد أبطال الاسلام وقادته العظام حقا ، ينال هذا اللقب النبوى الخالد على مدى الدهر « سيف من سيوف الله » فاذا ذكره المسلمون على ألسنتهم لم يذكروا اسمه وانما يذكرون هذا اللقب الذى ألزمه الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : سيف الله خالد ، ولو لم يكن خالد رضى الله عنه أبلى فى سبيل الله بلاءا حسنا وقاد جيوش الاسلام للجهاد فى سبيل الله لما حاز هذا الشرف وما نال هذا الوسام الالهى العظيم .

* * *

● **يا ابن ذى الجناحين :**

وينتقل المجاهد الى جوار ربه وينال رضوانه وينال أقاربه التكريم من أجله . وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما اذا سلم على ابن جعفر قال له : « السلام عليك يا ابن ذى الجناحين »[2] .

بعد أن هنأه الرسول صلى الله عليه وسلم باستشهاد أبيه وما ناله من تكريم الله له بقوله : « هنيئا لك ، أبوك يطير مع الملائكة فى السماء »، قال الحافظ : أخرجه الطبرانى باسناد حسن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مر بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة ، وهو

(١) رواه البخارى جـ ٣ ص ٢٠٣ باب تمنى الشهادة .
(٢) صحيح البخارى رقم (٣٧٠٩) ، فتح البارى جـ ٧ ص ٥٧

مخضب الجناحين بالدم » (أخرجه الترمذى والحاكم باسناد على شرط مسلم) ، وأخرج أيضا هو والطبرانى عن ابن عباس مرفوعا : « دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر يطير مع الملائكة » وفى طريق آخر عنه : « أن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه » ، واسناد هذه جيد وطريق أبى هريرة فى الثانية قوى اسناده على شرط مسلم[1] .

* * *

● **كانت تزفر لنا القرب يوم أحد :**

عن ثعلبة بن أبى مالك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم مروطا بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : « يا أمير المؤمنين ، أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت على ـ فقال عمر : أم سليط أحق به ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : فانها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد[2] .

* * *

● **الثناء على القوم بكثرة شهدائهم :**

عن قتادة قال : ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعز يوم القيامة من الأنصار ، قال قتادة : وحدثنا أنس بن مالك أنه قتل منهم يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون . قال : وكان بئر معونة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويوم اليمامة على عهد أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب[3] .

* * *

(١) فتح البارى جـ ٧ ص ٧٦
(٢) فتح البارى جـ ٧ ص ٣٦٦ ، صحيح البخارى رقم (٤٠٧١) .
(٣) صحيح البخارى رقم (٤٠٧٨) ، فتح البارى جـ ٧ ص ٣٧٤

● **وكذلك من شهد بدرا من الملائكة :**

عن رافع الزرقى قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » ـ أو كلمة نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة[1] .

الملائكة الذين اشتركوا فى معركة بدر مع المسلمين خيار الملائكة ، كما أن الصحابة الذين شهدوها خيار المسلمين كما ورد ذلك صريحا فى بعض الروايات ، سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم : كيف أهل بدر فيكم ؟ قال : « خيارنا » قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هم خيار الملائكة[2] . فالمجاهدون من الملائكة أفضل من سواهم .

* * *

● **خير من الدنيا وما فيها :**

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » . وفى رواية من حديث أبى هريرة : « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب »[3] .

* * *

● **أمن دائم ورزق مدرار وعمل صالح مستمر :**

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »[4] .

---

(١) صحيح البخارى رقم (٣٩٩٢) ؛ فتح البارى جـ ٧ ص ٣١١
(٢) فتح البارى جـ ٧ ص ٣١٣
(٣) صحيح البخارى رقم (٢٧٩٢) ، فتح البارى جـ ٦ ص ١٣
(٤) صحيح البخارى رقم (٢٨٩٢) ، فتح البارى جـ ٦ ص ٨٥

وعن سلمان • قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه • وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان »[1] •

* * *

● **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله :**

ومما يظهر فضل الجهاد فى سبيل الله هدفه العام الذى شرع من أجله :

عن أبى موسى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »[2] •

فالذى يجاهد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله ، لا لمغنم ، ولا لذكر ورياء ــ واعلاء كلمة الله يتحقق به كل خير ويقضى به على كل شر ــ الذى يجاهد لذلك لا شك يحوز فضلا لا يحوزه الا من سلك سبيله •

* * *

اخلاق المجاهد

اذ من أبرز تعاليم الاسلام الحربية تنظيم أخلاق المجاهد قائدا كان أو جنديا ، وسنعيش مع المجاهدين المسلمين الأول لنرى الأخلاق التى تحلوا بها فضمنت لهم النصر المبين :

١ ــ الشجاعة والصبر :

فى قمة هذه الأخلاق الشجاعة والصبر ، وذلك يبدو واضحا

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٢٠/٥٠ باب فضل الرباط فى سبيل الله ــ رقم الحديث (١٦٣) .

(٢) صحيح البخارى رقم (٢٨١٠) ؛ فتح البارى جـ ٦ ص ٢٧ ، صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥١٢

من تكليف القرآن للمسلمين فى مطلع الاسلام أن يناضل الواحد منهم عشرة ، وأن يتغلب عليهم بالصبر ، وعندما خفف الله عنهم أصبح على المسلم أن يصارع اثنين وأن يصبر ليتغلب عليهما ، استمع الى قوله تعالى:

﴿ يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين ﴾(١) .

وقد ضرب المسلمون الأول ــ وفى قمتهم الرسول صلى الله عليه وسلم ــ أعلى المثل فى التخلق بالشجاعة والصبر ، وقد روى عن على بن أبى طالب قوله : « انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه » ، ويقول عبد الله ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الصحابة يرون فى الرسول قدوة لهم .

وقد عبر عن ذلك سعد بن معاذ بقوله : والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا العدو غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . وكان خالد بن الوليد يقول لجنده : يا أهل الاسلام ، ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان النصر مع الصبر .

* * *

٢ ــ الخشونة والتقشف :

ومن الأخلاق التى يراها الاسلام ضرورية للجندى : الخشونة والتقشف ، ومن الواضح أن اللين والترف يفسدان حياة الجندى ويقضيان على نخوته ، والتاريخ يذكرنا بالأبطال الميامين الذين وقفوا

(١) الأنفال : ٦٥ ، ٦٦

خلف الخندق فى غزوة الأحزاب يدافعون عن الديار وقد تسدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، وقد رأينا من قبل ذلك المحارب البطل الذى انسل من المعركة بدافع الجوع ليأكل بضع بلحات هى كل زاده ، وقد أثبت أبطال الاسلام فى الجيل الأول بطولة نادرة لأن نشأتهم كانت نشأة صلابة وخشونة ، انهم كانوا كما وصفتهم رسل المقوقس اليه : ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة . جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم .

وفى العهود الاسلامية المتأخرة نجد الانكشارية يحققون نصرا مبينا فى مختلف الأرجاء لأن تربيتهم كانت خشنة شديدة ، فلما ذاقوا اللين وانغمسوا فى قبع العيش انهاروا وأصبحوا وبالا على أنفسهم وعلى بلادهم ، وكان لا بد من القضاء عليهم لتبدأ الدولة من جديد .

ويرتبط بالخشونة فى الحروب : الطاعة ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الخلق أدق تعبير :

قال تعالى : ﴿ طاعة وقول معروف ، فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾(١) .

* * *

٣ ـ صدق البلاء :

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب : صدق البلاء والاصرار على النصر ، يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه : لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نقتل آباءنا واخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما . ومضيا على اللقم (أى الطريق المعتدل) وصبرا على مضض الألم ، وجدا فى جهاد العدو ، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ، ومرة لعدونا منا ، فلما رأى

---

(١) محمد : ٢١

الله صـــدقنا أنزل بعدونا الكبت وانزل علينـــا النصر ، حتى اســـتقر الاسلام ملفيا جرابه ومبتونا أوطانه .

* * *

٤ ـ انـكار الـذات :

ومن الأخلاق الضرورية للمجاهد : انكار الذات ، ودخول المعركة باسم الجماعة ، والتعاون التام للحصول على النصر وان اختفى دور الفرد فى ثنايا العمل الجماعى ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص** ﴾(١) .

اى تبدو فيهم وحـــدة البنيـــان لا تعدد اللبنات ، ويحكى التاريخ أن مسلمة بن عبد الملك كان أميرا على جيش من جيوش المسلمين ، وكان يحاصر حصنا من حصـــون الروم استعصى عليهم فلم يفتحوه . فحرض الأمير جنـــده على التضحية والاقدام ، حتى يحدثوا فى ذلك الحصـــن ثغرة ، ويثقبوا فيه ثقبـــا ، فاسرع واحـــد من المســـلمين بالاســـتجابة لنداء الأمير ، واندفع الى الحصـــن وقد وضع لثاما على وجهـــه حتى لا يعرفه أحـــد ، واستطاع أن يحدث فيه ثغرة اندفع منها جنود المسلمين وفاجأوا الأعـــداء وانتصروا عليهم ، ففرح مســـلمة كثيرا ونـــادى : أين صـــاحب الثقب ؟ فلم يأته أحـــد ، فصـــاح : عزمت على صـــاحب الثقب الا جاء لى ، فحضر الرجل الملثم واستأذن للدخـــول على القائد فســـأله الحاجب : هل أنت صاحب الثقب ؟ فأجاب : أنا أدلكم عليه ، فأدخله الحاجب ، فلمـــا مثل الرجل أمام مسلمة قال له : أيها الأمير ، ان صاحب الثقب يشترط عليكم ثلاثا : ألا تبعثوا باســـمه فى صحيفة الى الخليفة ، وأن لا تأمروا له بشىء ، وألا تســـألوه من هو . فقال مسلمة : ذلك له ، فقال الرجل فى استحياء : أنا صاحب الثقب ، ثم ولى مسرعا .

---

(١) الصف : ٤

فكان مسلمة بعد ذلك لا يصلى صلاة الا دعا فيها فقال : اللهم اجعلنى مع صاحب الثقب يوم القيامة .

ومثل هذا يروى أنه فى أثناء حصار عكا كان هناك رجل من دمشق يشرف على آلات النفط وتحضير المواد اللازمة للمفرقعات ، فأحرق ثلاثة أبراج للعدو ، فأمر صلاح الدين بأن يمنح جائزة ، ولكن الرجل رفض قبولها وقال : «انما فعلته لله ، ولا أريد الجزاء الا منه»[1].

* * *

٥ ـ الايثـــار :

ومن الأخلاق الضرورية للمحارب : الايثار ، ففى رحاب الايثار وحدة وصلابة وقوة ، ويذكر التاريخ أن ثلاثة من أبطال المسلمين وقعوا مثخنين بالجراح فى معركة اليرموك وهم : عكرمة بن أبى جهل ، وسهيل ابن عمرو ، والحارث بن هشام ، وعندما كانوا فى النزع الأخير مر بهم الساقى وكل منهم فى حاجة الى قطرات من الماء ، ولكن كل منهم كان يؤثر صاحبيه على نفسه ، فيروى أن الساقى عندما جاء الى عكرمة أشار هذا الى سهيل لأنه كان ينظر الى اناء الماء ، فلما تقدم الساقى من سهيل قال : ابدأوا بالحارث ، ومات الثلاثة دون أن ينالوا من الماء شيئا .

وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ على خط النار فى سيناء مثل الجيش المصرى أروع دور فى الايثار ، فكانوا يعيشون اليوم والأيام يتقاسمون قطعة من البسكويت ، ويقتسمون كوب ماء ليبل كل منهم لسانه فقط .

وكان هذا من أسباب النصر المبين الذى أحرزه جيشنا فى صراعه مع الصهاينة أعداء الله وأعداء الانسانية .

* * *

---

(١) ابن خلدون جـ ٥ ص ٣٢١

تلك هى أبرز الصفات التى يلزم أن يتخلق بها المجاهد قائدا كان أو جنديا . ولكن هناك صفات خاصة بالقائد ، ذلك الذى وضعت فى يده مقاليد الأمور وأرواح الناس من جند يدفع بهم الى المعركة ، ومن شعب التزم القائد بالدفاع عنه وحراسته ، وهذا يحتم على القائد أن يكون أهلا لهذه المسئولية الكبرى ، لأن غلطة واحدة منه تجر على الجند والشعب ألوانا من الكوارث ، وقد كتب الهرثمى فى الباب الثالث من مخطوطته عن سياسة الحرب أبرز الصفات اللازمة للرئيس ، فقال : أفضل الرؤساء فى الحرب أفضلهم نقيبة ، وأكملهم عقلا ، وأطولهم تجربة ، وأبعدهم صوتا ، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها ، ومواضع الفرص والحيل والمكايد ، وأحسنهم تعبئة لأصحابه من العدو ، وأن يكون حسن السيرة عفيفا صارما حازما متيقظا ، شجاعا ، سخيا[1] .

وقد تعرض الهرثمى لتقوى الله فى الحرب ، وأفرد لها الباب الأول من مخطوطه ، ومما جاء فيه قوله : ينبغى لصاحب الحرب أن يجعل برأس سلاحه فى حربه تقوى الله وحده ، وكثرة ذكره ، والاستعانة به ، والتوكل عليه ، والفزع اليه . ومسألته التأييد والنصر ، والسلامة والظفر[2] ، [3] .

* * *

غزوات رسول الله ﷺ والسرايا التى أرسلها النبى الكريم

لقد سميت المعارك وسميت الحملات العسكرية التى لم يحدث فيها قتال والتى كانت بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم المباشرة « غزوات » ، أما التى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم تحت امرة

---

(١) الهرثمى : المختصر فى سياسة الحروب ص ٦ ، ٧ ـ مخطوطة بالجامعة العربية .

(٢) المرجع السابق ص ٤

(٣) احمد شلبى ـ الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى ص ٧٢ ـ ٨٧

أحد القادة المسلمين فقد سميت « سرايا » ما عدا غزوة مؤتة فقد سميت كذلك لأهميتها .

اذ لم يكن للسرية عدد محدد فقد كان عددها يزداد أو يقل تبعا للمهمة التى توكل اليها ، فبينما كان عدد أفراد السرية يرتفع الى ما يوازى عددها فى المصطلح المعاصر أو أكثر منه ، نرى أن هذا العدد ينخفض فى بعض الأحيان الى ما يمكن تسميته اليوم بـ «مفرزة» ، لذلك نرى أن ما كان يقصد به كلمة سرية هو قريب اليوم من كلمة « مهمة » فقد كان عدد غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى غزا فيها بنفسه سبعا وعشرين غزوة وقد حدث قتال فى تسع منها ، وهذه الغزوات هى : بدر الكبرى ، أحد ، المريسيع ، الخندق ، قريظة ، خيبر ، فتح مكة ، حنين ، الطائف .

أما السرايا فقد كانت سبعا وأربعين سرية ، كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان فى مهمات استطلاعية ، وفى أحيان أخرى لدعوة القبائل الى الاسلام وتعليمهم أسس الدين الجديد ، او لعقد اتفاقيات مع بعض هذه القبائل تتعهد فيها بأن لا تظاهر أحدا ضد المسلمين ولا تقوم ضدهم بأعمال عدوانية .

أما القبائل التى كانت تظهر العداوة للمسلمين أو تتآمر ضدهم أو تبيت لهم الشر ، فاتها كانت تتعرض اما لغزوة بقصد تأديبها أو لتثبيت قواتها المقاتلة فى أماكنها فلا تهب لنجدة خصم من أعداء المسلمين ، أو من أجل تشتيت قواتها قبل أن تكمل استعدادتها لمهاجمة المسلمين .

كما كانت القبائل المعادية تتعرض لهجمات سريعة من قبل سرايا المسلمين فتستولى فيها هذه السرايا على ما تصادفه من أملاك ومواشى الأعداء ، لأن مواشى المسلمون وممتلكاتهم على أطراف المدينة كانت تتعرض أيضا وفى أحيان كثيرة لاغارات من جانب القبائل المعادية ، بحيث ان بقاء المسلمين دوما فى حالة الدفاع عن النفس كان مما يشجع

تلك القبائل على زيادة تحرشاتها واعتداءاتها ، وبالتالى مما يؤدى الى النيل من معنويات المسلمين واضعاف شأنهم .

لذلك كان خروج الغزوات والسرايا لمهاجمة الأعداء فى عقر دارهم هو من الأمور الضرورية لفرض هيبة القوات المسلمة ورادع لأعدائها .

أما الغزوات والسرايا التى كانت تعترض سبيل قوافل قريش التجارية بقصد الاستيلاء عليها ، فانها جاءت ردا على الحرب التى بدأت بشنها قريش ضد المسلمين بما فى ذلك الحرب الاقتصادية ومنها المقاطعة الاقتصادية فى الشعب وغيرها من أنواع الظلم والقهر الذى أدى الى حمل المسلمين على الهجرة الى المدينة تاركين فى مكة منازلهم وممتلكاتهم التى استولى عليها بعد هجرتهم زعماء قريش .

هذا بينما لم يحدث صدام أو مواجهة عسكرية على نطاق واسع مع القوات المسلمة فى غزواتها وسراياها حتى واقعة بدر الكبرى ، ومن ثم فى عدد من المعارك الأخرى التى سنشرحها فى الصفحات القادمة[1] .

❀ ❀ ❀

نبذة موجزة عن مجمل الغزوات والسرايا

● **سرية حمزة بن عبد المطلب :**

كانت سرية حمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان ، الشهر السابع من الهجرة النبوية الشريفة ووصول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة .

قالوا : أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم المدينة لحمزة بن عبد المطلب ، بعثه فى ثلاثين راكبا شطرين :

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشام ـ عبد الكريم غزال ص ١٢٢

خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار . فلما وصل حمزة وجنده الى شاطىء البحر اعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة ، فيها أبو جهل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فالتقوا حتى اصطفوا للقتال ، فمشى بينهم مجدى بن عمرو وكان حليفا للفريقين جميعا ، فلم يزل يمشى الى هؤلاء والى هؤلاء حتى انصرف القوم وانصرف حمزة راجعا الى المدينة فى أصحابه ، وتوجه أبو جهل فى عيره وأصحابه الى مكة ولم يكن بينهم قتال[1] .

* * *

● **سرية عبيدة بن الحارث الى رابغ :**

ثم عقد لواء لعبيدة بن الحارث ، فى شوال على رأس ثمانية أشهر ، الى رابغ ــ ورابغ على بعد عشرة أميال من الجحفة ــ فخرج أبو عبيدة فى ستين راكبا ، فلقى أبا سفيان بن حرب على ماء يقال له احياء من بطن رابغ ، وأبو سفيان يومئذ فى مائتين ، فما كان من أبى سفيان الا أن أسرع فى سيره تجنبا لوقوع الصدام بينه وبين المسلمين وذلك عندما رمى سعد بن أبى وقاص بأسهمه نحو جمع المشركين . فكان أول من رمى بسهم فى الاسلام سعد بن أبى وقاص ، لم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال أكثر من هذا الرمى للمناوشة ، ثم انصرف هؤلاء على حاميتهم وهؤلاء على حاميتهم[2] .

* * *

● **سرية سعد بن أبى وقاص الى الخرار :**

ثم عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء لسعد بن أبى وقاص الى الخرار ــ والخرار من الجحفة ــ فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) المغازى ــ الواقدى جـ ١ ص ٩

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٠

عن عامر بن سعد عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار ، فان عيرا لقريش ستمر به » . فخرجت فى عشرين رجلا ــ أو أحد وعشرين ــ على أقدامنا ، فكنا نكمن النهار ونسير الليل حتى صبحناها صبح خميس ، فنجد العير قد مرت بالأمس . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم عهد الى ألا أجاوز الخرار ، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم . فرجع الى المدينة[1] .

* * *

● **غزوة الأبواء (٢) :**

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى صفر على رأس أحد عشر شهرا ، حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش ، فلم يلق كيدا ، وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة من كنانة على ألا يكثروا عليه ، ولا يعينوا عليه أحدا . ثم كتب بينهم كتابا ، ثم رجع ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة[3] .

* * *

● **غزوة بواط :**

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بواط فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا ، يعترض لعير قريش ، فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير ، ثم رجع ولم يلق كيدا[4] .

* * *

● **غزوة بدر الأولى :**

ثم غزا النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من السنة الثانية

---

(١) المغازى ــ الواقدى جـ ١ ص ١١

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا (معجم البلدان) جـ ١ ص ٩٢

(٣) المغازى ــ الواقدى جـ ١ ص ١١ ، ١٢

(٤) المرجع السابق ــ جـ ١ ص ١٢

للهجرة فى طلب « كرز بن جابر الفهرى » ورجـاله الذين أغاروا على سرح للمسلمين كان يرعى على مقربة من المدينة ، فتبعه النبى ومعه قوة من المسـلمين حتى بلغ بدرا ولم يدركه[1] .

* * *

● غـــزوة ذى العشـــيرة :

ثم غزا رســول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة من الســنة الثانية للهجرة متوجها نحو مكان يسمى « العشيرة » يقع من ناحية ينبع بين مكة والمدينة ، خرج عليــه الصلاة والسلام فى مائتين من المسلمين يعترض لقافلة قرشــية خرجت من مكة تريد الشــام وفيها أموال للقرشــيين جمعت وأرسلت مع تلك القافلة ، لكن القافلة أفلتت من قبضة المسلمين فعادوا الى المدينة ولم تحدث مواجهة بين الفريقين[2].

* * *

● ســـرية نخـــلة :

وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرية على رأســها عبد الله بن جحش فى شــهر رجب من الســنة الثانيــة للهجرة ، وكان عدد أفراد السرية قليلا لأن مهمتها كانت اســتطلاعية فقط ، وقد أرســلها النبى الكريم بقيــادة عبد الله بن جحش وأرســل معه ثمانية رجال كلهم من المهاجرين وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيــه الا بعــد مسير يومين ، فلما ســار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيــه : « سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمرى فيمن اتبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » ــ ونخلة مكان يقع بين مكة والطائف .

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشــام ــ عبد الكريم غزال ص ١٢٢ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق .

فلما قرأ الكتاب على أصحابه قال لهم : لست مستكرها منكم أحدا ، فمن أراد منكم الشهادة فليمض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أراد الرجعة فمن الآن .

فقالوا جميعا : نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر على بركة الله حيث شئت . فمضى عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا وجلودا ، وفيها أربعة رجال من قريش ، فتشاور رجال عبد الله بن جحش فى أمرهم وكان ذلك فى آخر يوم من رجب فقالوا : فوالله لو تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فيمتنعن منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه وأخذ ما معهم من تجارة ، فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، ثم ألقى رفاقه القبض على اثنين من رجال القافلة وفر الرابع منهم ، وأقبل عبد الله بن جحش بالعير ومعه الأسيران حتى وصلوا الى المدينة ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » ، فوقف العير فلم يأخذ منها شيئا وحبس الأسيرين ، فلما قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم هلكوا ، ولا سيما عندما عنفهم اخوانهم المسلمون ولاموهم بينما كانت المدينة تفور فور المرجل . وقالت قريش : لقد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال . فلما أكثر الناس فى ذلك ، أنزل الله تعالى على رسوله الآية الكريمة :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه اكبر عند الله ﴾(1) .

---

(1) البقرة : ٢١٧

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من حذر وغم ، قبض رسول الله العير والأسيرين ، فافتدت قريش أحدهما وأسلم الأسير الثانى وأقام فى المدينة[1] .

* * *

● غزوة بدر القتال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون للاستيلاء على قافلة أبى سفيان عند عودتها من الشام فى طريقها الى مكة . قدرت قوة المسلمين بثلاثمائة مقاتل تقريبا وقدرت قوة المشركين بألف مقاتل .

خرج المسلمون للجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الدين ووقوفا فى وجه المعتدين يحاربون بايمان فى سبيل هدفين : نصر أو شهادة . أما المشركون فهم قوم يحاربون من أجل دنياهم بنفوس كلها حقد ، يسعون الى البغى والسلطان ، يحرصون على حياتهم ليعودوا الى ما كانوا يتمتعون به من لذات دنيوية .

بدأ القتال فى بدر فى صبح اليوم السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة وانتهى فى عصر ذات اليوم ، وقد ولى أهل مكة الأدبار ، لقد تصدعت جموع الشرك أمام قوة الايمان وانتصر جند الله على جند الشيطان .

وكانت المعركة قد انجلت عن سبعين قتيلا وسبعين أسيرا ، وغنم المسلمون كل ما خلف المشركون وراءهم من زاد وعتاد ، أما الذين فازوا بالشهادة فكانوا أربعة عشر شهيدا .

ولم يحزن المسلمون على قتلاهم ولم يبكوا عليهم بل اعتبروا شهادتهم فخرا ومجدا وعزا وشرفا .

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشام — عبد الكريم غزال ص ١٢٢ وما بعدها .

وكان النصر العظيم الذى أحرزه المسلمون فى بدر ذا أثر كبير فى نفسية المسلمين ، فقد اشتدت سواعدهم وقويت شوكتهم وعمق ايمانهم ، وهان عدوهم فى نظرهم ، وأصبحوا لا يبالون به ، وازداد اقترابهم من الله[1] .

* * *

● **سرية قتل عصماء بنت مروان :**

كانت عصماء بنت مروان تؤذى النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعيب الاسلام ، وتحرض على النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءها عمير بن عدى فى جوف الليل حتى دخل عليها فى بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من ترضعه فى صدرها ، فجسها بيده ، فوجد الصبى ترضعه فنحاه عنها ، ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة . فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى عمير فقال : « أقتلت بنت مروان » ؟ قال : نعم ، بأبى أنت يا رسول الله . فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى من حوله فقال : « اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب ، فانظروا الى عمير بن عدى » . وقد كان قتلها فى الخامس والعشرين من رمضان من السنة الثانية للهجرة[2] .

* * *

● **سرية قتل ابى عفك :**

ثم كانت سرية بقيادة سالم بن عمير ذهبت لقتل أبى عفك الذى كان يحرض الناس على عداوة المسلمين وقتالهم ، ويهجو رسول الله بأشعاره ، وقد قال أبو عفك أبياتا من الشعر بعد وقعة بدر عاب

---

(١) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج ص ٢٦٤ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) المغازى ــ الواقدى ص ١٧٢

فيها الاسلام وتهكم على المسلمين ، وقد كان مقتل أبى عفك فى شهر شوال من السنة الثانية للهجرة[1] .

* * *

● **غزوة بنى قينقاع :**

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بنى قينقاع ، التى كانت فى الخامس عشر من شوال من السنة الثانية للهجرة ، وذلك بعد ما نقض بنو قينقاع عهد الموادعة الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حدثت هذه الغزوة فى أعقاب حادثة مفادها : أن امرأة مسلمة من الأنصار جاءت تشترى حليا من سوق قبيلة قينقاع اليهودية فى المدينة ، فجلست القرفصاء أمام أحد الحوانيت وعلى وجهها غطاء ــ أو خمار ــ فجاء رجل من بنى قينقاع فربط طرف ثوب المرأة الى أعلى ظهرها خلسة بشوكة قوية أو ابرة ، فلما نهضت ظهرت عورتها فضحك وقهقه من كان على مقربة منها من اليهود ، فصاحت المرأة مستغيثة فجاء أحد المسلمين وقتل الرجل الذى صنع بها ذلك ، وهنا اجتمع من كان فى السوق من بنى قينقاع وقتلوا الرجل المسلم ثم دهبوا وتحصنوا فى حصونهم ، فسار اليهم رسول الله وحاصرهم حتى استسلموا فأمر صلى الله عليه وسلم عندئذ باجلائهم عن المدينة ومصادرة أسلحتهم ، وقد توسط لهم عبد الله بن أبى قائلا لرسول الله : يامحمد ؛ أحسن فى موالى (أى حلفائى) فهؤلاء منعونى يوم بعاث وانى رجل أخشى الدوائر . ثم توجه بعد ذلك بنو قينقاع فى قوافل حملتهم الى الشام ومنهم من ذهب الى خيبر ووادى القرى[2] .

* * *

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق ومصر والشام ــ عبد الكريم غزال .

(٢) المرجع السابق .

● **غـــزوة قرارة الكـدر :**

خرج الرســول صلى الله عليــه وســلم الى بنى سليم وغطفان ، فى الخـامس عشر من المحـرم من الســـنة الثانيـة للهجرة ، وقـد غـاب الرســول فيها خمســـة عشر يومـا ، والكدر هــو اســم ماء لبنى ســليم • خُرج رســول الله صلى الله عليــه وسلم من المدينة الى قرارة الكدر عندما علم أن بها جمعا من غطفان وسليم ، فسار رسول الله صلى الله عليــه وسلم اليهم وأخذ عليهم الطريق ولم يجد فى المجال أحدا • فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بنعم ، فانحدر الى المدينة حتى صلى الصبح بها ، فأمر أن يقســموا غنائمهم ، واقتسموا غنائمهم فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة ، وكان القوم مائتين[1] •

* * *

● **غـــزوة الســـويق :**

وقعت فى الخامس من ذى الحجة من السنة الثانية للهجرة ، وفى هــذه الغزوة خرج رســول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة أبى سفيان الذى هاجم أطراف المدينة ومعه مائتى فارس من قريش ، فقتل اثنين من المســلمين ولاذوا بالفرار عندما تعقبهم المســلمون ، وجعل أبو سفيان وأصــحابه يتخففون فيلقون طعام « السويق » ، فجعــل المســلمون يمرون بها فيأخذونها[2] •

* * *

● **قتـــل ابن الأشرف :**

وكانت سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فى شــهر ربيع الأول من الســنة الثالثة للهجرة • وقد قتل ابن الأشرف ، اذ كان ابن الأشرف رجلا يهوديا أخــذ يهجو المســلمين فى أشعاره ويحرض

---

(١) المغــازى ــ الواقدى جـ ١ ص ١٨٢

(٢) المرجع السابق ــ جـ ١ ص ١٨١

قريشـا على حرب المسـلمين ومهاجمتهم فى المدينة حيث قال : ان بطن الأرض خير من ظهرها بعد ما قتل سادة العرب وأشرافهم ببدر[1] .

* * *

● **شـان غزوة غطفان بذى أمر :**

وكانت فى ربيع الأول من السـنة الثالثة للهجرة ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر يوما ، وذو أمر اسم لمـاء بنجد[2] .

* * *

● **غـزوة بنى سليم ببحران :**

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى سليم ببحران فى الأيام الأولى من جمادى الأولى من السـنة الثالثة للهجرة ، وقد غاب عليـه الصـلاة والسـلام فى هـذه الغزوة عشرة أيام ورجع الى المدينـة ولم يلق كيـدا[3] .

* * *

● **سـرية القردة :**

ثم كانت سرية القردة وأميرها زيد بن حارثة ، و « القردة » ماء بنجد . وقـد كان مسـير هـذه السرية فى منتصف شـهر جمادى الآخرة من السـنة الثالثة حيث ذهبت سرية زيد بن حارثة وكان عددها مائة راكب لكى تعترض طريق تجارة لقريش فى قافلة سلكت طريق نجد متوجهة الى العراق ودلك بعد ما تخوف القرشـيون من الذهاب عن طريق سـاحل البحر الأحمر فى قوافلهم التجارية الى الشـام فى أعقاب انتصار المسلمين فى واقعة بدر الكبرى . وقد كانت هـذه القافلة تحمل

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح ـ عبد الكريم غزال .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المغـازى ـ الواقدى جـ ١ ص ١٩٦

كثيرا من الفضـــة وأصنافا ثمينة غيرها استولت عليها سرية زيد بن حارثة ثم عادت الى المدينة ومعها أســيرين[1] .

* * *

● غـــزوة احـــد :

« أحـــد » اسم جبل شـــهير من جبال المدينة المنورة . نشبت هذه المعركة الهائلة بين المسلمين والمشركين يوم السبت الموافق الخامس عشر من شوال من سنة ثلاث من الهجرة . وقـــد كانت هـــذه المعركة ثانى معركة داميـــة طاحنة يخوضها المســـلمون ضد مشركى مكة وهى أعظم من معركة بدر من حيث كثرة الاستعداد وضخامة القوات التى اشتبكت فيها . وسبب هـــذه المعركة ، هو أن قريشـــا لمـــا هزمت فى معركة بدر ، وفتك المســـلمون بقادتها وزعمائها ، وهدموا هيبتها فى نفوس العرب ، صممت على الانتقام من المســـلمين وقررت مهاجمتهم فى عقر دارهم ، وقـــد بلغت قوة قريش فى هـــذه الحمـــلة ثلاثة آلاف مقاتل وثلاثة آلاف بعير ، ومئتا فرس ، وســـبعمائة درع . وكان أبا ســـفيان قائدا عاما للجيش وخالد بن الوليد قائدا لسلاح الفرسان .

خرج النبى صلى الله عليـــه وسلم الى العدو على رأس جيش بلغ حوالى ألف مقاتل واقتربت ســـاعة الصـــفر ، فبعد أن أتم الفريقـــان تعبئتهما وأخـــذ كل من القادة والجنود مكانه المرســـوم له ، تقابل الخصمان وجها لوجه ، ثلاثة آلاف من فرسان المشركين وأبطالهم تقودهم الحمية الجاهليـــة وتدفعهم الرغبة فى الأخـــذ بالثأر ، يواجهون سبعمائة من المســـلمين تدفعهم الرغبـــة الصادقة فى الاستشهاد فى ســـبيل الله والانتصـــار لرفع كلمة الله ، وانهزم الكفر أمام الايمان وكادت المدينة تسجل مرة أخرى على مكة نصرا ســـاحقا ، لا يقل روعة وفاعلية عن النصر الذى ســـجلته عليهم فى ملحمـــة بدر ، ولكن الكارثة حلت بالمســـلمين عندما خالف الرماة أوامر رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم وتركوا أماكنهم فى الجبـــل ، فقد لمح خالد بن الوليد قائد فرســـان

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح ـ عبد الكريم غزال .

مكة ترك أكثر الرماة لمراكزهم فى الجبل فاغتنم الفرصة على عجل واندفع نحو مواقع الرماة فى الجبل وقضى على من بقى منهم ثم انقض بفرسانه على مؤخرة الجيش الاسلامى وتغير الموقف وتحول مجرى القتال لصالح المشركين وانسحب المسلمون واعتصموا بالجبل لاعادة تنظيم صفوفهم .

بلغت خسارة المسلمين فى هذه المعركة سبعين شهيدا ، وحوالى مائة وخمسين جريحا ، وبلغت خسائر المشركين اثنين وعشرين قتيلا أما الجرحى فلم يعرف عددهم[1] .

* * *

● **غزوة حمراء الأسد :**

وقعت هذه الغزوة يوم الأحد السادس عشر من شوال من السنة الثالثة من الهجرة ، أى فى اليوم التالى من غزوة أحد .

تحالفت المحن والبلايا ضد المسلمين من جديد ـ بعد معركة أحد ، كنتيجة للنكبة التى أصابت المسلمين فى هذه الغزوة ، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستسلم لليأس ولم يفت فى عضده فداحة المصاب الذى نزل بجيشه فى واقعة أحد ، بل سارع الى القيام بأعمال عسكرية حاسمة سريعة ؛ كانت غاية فى النجاح ، أعاد بها النظام واستعاد بها هيبة المسلمين وأمن قاعدتهم الكبرى « المدينة » فمن ناحية البدو المتحفزين للهجوم على المدينة ، فقد سارع الرسول صلى الله عليه وسلم الى تأديبهم وضربهم فى ديارهم حيث جرد عليهم حملات عسكرية خاطفة ، أوقعت بهم فى منازلهم قبل أن يتحركوا منها نحو المدينة فشتت شملهم وملأ نفوسهم فزعا ورعبا . أما اليهود الذين سارعوا بعد معركة أحد الى اثارة القلاقل وحبك المؤامرات ضد المسلمين فقد تنبه الرسول صلى الله عليه وسلم وطهر المدينة من رجسهم حيث سارع الى نفيهم من المدينة ، وهؤلاء اليهود هم

---

(١) من معارك الاسلام الفاصلة : غزوة احد ـ محمد أحمد باشميل (بتصرف) .

بنو النضير الذين أجلاهم الرسول من يثرب بعد حصـــار دام عشرين ليـــلة .

وبهذه الأعمال السريعة الحاسمة التى قام بها النبى صلى الله عليـــه وسلم ضـــد اليهود والأعراب والمنافقين استعاد المسلمون هيبتهم وعادت لهم الســـيطرة التامة على المدينة وظل المسلمون سادة الموقف فى منطقة يثرب[1]

* * *

● ســـرية بئر معـونة :

ثم كانت سرية بئر معونة ، فى شـــهر صـــفر من الســـنة الثالثة للهجرة ، وعدد السرية كان أربعون رجلا ، وقيل ان عددها كان سبعين ، أميرهم المنذر بن عمرو الســـاعدى ، اذ كان لهذه السرية مهمة الدعوة الى دين الله وقد أرســـلها رسول الله صلى الله عليـــه وسلم الى بنى عامر ليعلمهم الاســـلام ، لكن بنى ســـليم غدروا بهذه السرية وقتلوا جميع أفرادها بعد ما قاتل المســـلمون باستبسال حتى آخر رجل منهم ، حيث دار هـــذا القتال بالقرب من بئر لبنى سليم يسمى « بئر معونة »[2] .

* * *

● ســـرية الرجيع :

وكانت سرية الرجيع ـــ أو يوم الرجيع ـــ فى صفر من السنة الثالثة للهجرة ، وكان عـــدد السرية أو البعثة ســـبعة رجال على رأسهم مرثد ابن أبى مرثد الغنـــوى ويقـــال انه كان أميرهم عاصـــم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وبعثهم رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم الى ديار قبيلتى « عضل » و « القارة » لتعليمهم الاسلام بناء على طلب هاتين القبيلتين ، فلما وصل أصحاب رســـول الله الى ماء اســـمه الرجيع بين المدينة ومكة

---

(١) غزوة أحـــد ـــ محمد أحمد باشميل ص ٣٤٨ ، ٣٤٩

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـــام ومصر ـــ عبد الكريم غزال .

وعلى مقربة من عسفان غدرت بهم عضل والقارة فقتلوا بعضهم وأسروا البعض الآخر ثم اقتادوا الأسرى الى مكة فباعوهم الى قريش وبذلك أصبح اسم « عضل » و « القارة » منذ ذلك الحادث اسما مشؤما يطلقه المسلمون على كل جماعة غادرة أو عمل سيء عدائى يوجه ضدهم[1] .

* * *

● **غزوة بنى النضير :**

ثم كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وقد حدثت هذه الغزوة عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نادى قبيلة بنى النضير اليهودية ومعه عدد من أصحابه للتباحث معهم بشأن دية رجلين من بنى عامر كان قد قتلهما أحد المسلمين خطأ ، لأن بنى النضير كانوا حلفاء لبنى عامر فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى بهو نديهم بعدما رحب بنو النضير بقدومه قائلين له : نفعل يا أبا القاسم ما أحببت ، اجلس حتى نطعمك ، ثم خلا بعضهم ببعض وأخذوا يتهامسون ، فقال زعيمهم حيى بن أخطب : يا معشر اليهود ، لقد جاءكم محمد فى نفر قليل من أصحابه ، فاطرحوا عليه الحجارة من فوق هذا البيت الذى هو تحته فاقتلوه ، فلن تجدوه أخلى منه الساعة ، فانه ان قتل تفرق أصحابه ، فلحق من كان معه من قريش بقومهم وبقى من كان ههنا من الأوس والخزرج فعادوا حلفاءكم كما كانوا . فوافق حيى بن أخطب بعض قومه وخالفه آخرون وأنكروا عليه هذا العمل ، حتى قال رجل من بنى النضير اسمه عمرو بن جحاش : أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة ، فلما صعد لالقاء الصخرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد لاحظ حركاتهم المريبة أوحى الله تعالى الى نبيه بما يبيت له ، فنهض من مكانه قبل تنفيذ المؤامرة وذهب الى المدينة ولحق به أصحابه ،

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال .

وفى اليوم التالى أعد النبى صلى الله عليه وسلم قوة من المسلمين سار بهم الى حصون بنى النضير فحاصرهم خمسة عشر يوما حتى نزل بنو النضير فى نهايتها على شروط رسول الله التى قضت بأن يجلوا عن المدينة ويأخذوا معهم ما حملت جمالهم من أموالهم ما عدا السلاح ، وأن لهم عشرة أيام حتى يجمعوا ما لهم من دين فى الناس ، فمنهم من أسلم وظل فى المدينة ، أما غالبيتهم فقد توجهت فى قوافل حملتهم الى خيبر ، ومن خيبر ذهب زعيمهم حيى بن أخطب فى وفد قومه الى مكة فحرض زعماء قريش وغيرها من القبائل على مهاجمة المسلمين فى غزوة الأحزاب[1] .

* * *

● **غزوة بدر الموعد :**

ثم ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة « بدر الموعد » ومعه ألف وخمسمائة رجل من المسلمين ، وذلك فى منتصف شهر ذى القعدة من السنة الرابعة للهجرة ، وهذه الغزوة هى التى كان قد تواعد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان فى معركة أحد أن يلتقيا فيها ، غير أن أبا سفيان تخوف من لقاء المسلمين فى بدر فتخلف عن المجىء اليها وقد غاب النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ستة عشر يوما[2] .

* * *

● **سرية ابن عتيك الى خيبر :**

وكانت سرية أميرها عبد الله بن عتيك لقتل « أبى رافع » واسمه سلام بن أبى الحقيق ، وهو أحد زعماء بنى النضير ، وكان عدد السرية خمسة رجال ، ذهبت الى خيبر وقتلت أبى رافع ، وذلك فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة من السنة الرابعة للهجرة ، وقد كان سبب قتله أنه كان يتفاوض مع قبيلة غطفان ويحرض غيرها من مشركى العرب

---

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ١ ص ٢٦٣ ـ ٣٨٠ (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨ ـ ١٢١

ليقوموا مجتمعين فى حملة لمهاجمة المسلمين فى المدينة لقاء مكافآت سخية وعد بتقديمها لهم[1] .

* * *

● **غزوة ذات الرقاع :**

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة « ذات الرقاع » وسميت بهذا الاسم لأنه جبل فيه بقع حمر وسواد وبياض وكان ذلك فى العاشر من المحرم من السنة الرابعة للهجرة ، وفى هذه الغزوة خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة من أصحابه للقاء قوات متحالفة من قبيلتى أنمار وثعلبة اللتين كانتا تتهيآن وتعدان العدة لمهاجمة المسلمين فى المدينة ، فلما اقترب المسلمون من ديار هاتين القبيلتين تفرق القوم وقد أصابهم الذعر من هذه المفاجأة التى لم يكونوا يتوقعونها قبل استكمال استعداداتهم لذلك فروا الى رؤوس الجبال تاركين كثيرا من الغنائم التى استولى عليها المسلمون ثم عادوا الى المدينة[2] .

* * *

● **غزوة دومة الجندل :**

ثم كانت غزوة « دومة الجندل » فى ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من المسلمين عندما علم بأن فى دومة الجندل جموعا كبيرة من المشركين تعتدى على التجار الذين كانوا يجلبون الدقيق والزيت من الشام الى المدينة المنورة ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم برجاله حتى وصل الى مسافة قريبة من دومة الجندل ، وهناك وجد المسلمون ماشية وابلا كثيرة تركها أصحابها وفروا الى دومة الجندل وأخبروا أهلها بقدوم جيش المسلمين فتفرقوا ، فلما دخلها المسلمون لم يجدوا أحدا فيها ، فعاد

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ، ص ٩٨ ـ ١٢١

(٢) المغازى ـ الواقدى جـ ١ ص ٣٩٥

رسول الله مع أصحابه الى المدينة ومعهم قطعان الابل التى غنموها فى هـذه الغزوة[1] .

* * *

● **غـــزوة بنى المصطلق :**

ثم كانت غزوة بنى المصطلق فى شهر شعبان من الســنة الخامســة للهجرة ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة وسيدهم هو الحارث بن ضرار .. وبلغ رســول الله صلى الله عليه وسلم أن الحارث قــد جمع لحربه نفر من قومه ومن العرب ، فخرج الرســول صلى الله عليــه وسلم فى ألف مقاتل ، ومعه ثلاثون فرســا وســمح رســول الله لعــدد من المنافقين فخرجوا مع الخارجين . وبلغ المسلمون مكانا يقال له المريسيع ، حيث رفع راية المهاجرين أبى بكر وراية الأنصار سعد بن عبادة واصطف الفريقان وجها لوجــه . وعرض عليهم الرســول الاسلام فأبوا وتراموا بالنبل ثم أمر الرســول بشــن الهجوم ، فحمل المســلمون عليهم حملة رجل واحد فقتلوا من القوم عشرة ، وأسروا الباقى ووضــعوا أيديهم على مغانم كثيرة ، وتزوج الرســول جويرية بنت الحارث حتى يدخل قومها فى الاســلام[2] .

* * *

● **غـــزوة الخندق أو الأحزاب :**

تحالفت قريش مع قبائل غطفان وجهزوا عشرة آلاف مقاتل لمهاجمة المسلمين فى عقر دارهم (المدينة المنورة) ، بينما لا يزيد جيش المسلمين على ثلاثة آلاف مقــاتل . واجتمع رســول الله صلى الله عليــه وسلم بأصحابه يشــاورهم فى الأمر فاقترح ســلمان الفارسى حفر خنــدق حول المدينة ليحميهم من هجــوم جيش الأحزاب ، وتم حفر الخنــدق بأيدى المســلمين وعلى رأسهم رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعــد

---

(١) المغــازى ــ الواقدى جـ ١ ص ٤٠٣

(٢) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج ص ٤٢٨

حفر الخندق أصبحت المدينة كالحصن المنيع الذى لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق المغامرات الانتحارية ، وبعد أن أتم المسلمون حفر خندقهم حول المدينة بقيت قواتهم خلفه مرابطة متيقظة فى انتظار جيش الأحزاب بقيادة أبى سفيان • تحركت جيوش الأحزاب نحو المدينة وقد كان الميعاد المتفق عليه بين قادة الأحزاب التجمع حول المدينة فى شهر شوال من السنة الرابعة للهجرة •

وعندما وصلت جيوش الأحزاب الى المدينة وجدوا أنفسهم أمام مفاجأة عسكرية ذهلوا لها وصعقوا ، وجدوا أنفسهم أمام خندق • فكانت هذه المكيدة التى لم يألفها العرب من قبل سببا فى قلب خططهم رأسا على عقب •

وظل الحال هكذا مدة من الزمن قصيرة ــ ترام بالنبل وجولان بالخيل للارهاب من جانب قريش ودوريات من الجانبين •

وبعد حصار خانق شديد دام حوالى شهر بلغت حالة المسلمين من الضيق والتعب والارهاق حد الأعياء • هبت عاصفة هوجاء عاتية على معسكر الأحزاب فاقتلعت خيامهم فأسرعوا يلبون داعى الهزيمة بالفرار ، وعاد المسلمون الى المدينة حامدين لله تعالى بركته وتأييده وعونه[1] •

* * *

● **غزوة بنى قريظة :**

ثم كانت غزوة بنى قريظة ، والتى جاءت فى اليوم التالى لغزوة الأحزاب مباشرة . وحاصرهم المسلمون فى حصونهم ، وبعد أن تمت عملية الاستسلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يوضع الرجال فى حبس خاص بهم • أما النساء والذرارى فقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يحفظوا فى مكان ليس فيه صفة الحبس والتضييق •

---

(١) غزوة الأحزاب ــ محمد احمد باشميل (بتصرف) .

وفوض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ ليحكم فيهم بما يريه الله تعالى . وحكم سعد بن معاذ بالاعدام ضربا بالسيف على كل من بلغ الحلم من رجال يهود بنى قريظة ، وأن تسبى نساؤهم وذراريهم وأن تصادر جميع ممتلكاتهم غنيمة للمسلمين . وتم حكم الاعدام فى يهود بنى قريظة[1] .

* * *

● **سرية عبد الله بن انيس :**

وكانت سرية عبد الله بن أنيس لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى يوم الاثنين فى الخامس من شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة. وسفيان بن نبيح كان يستعد على رأس قوة من قبيلته ويحرض غيرها من المشركين لغزو رسول الله . لذلك ذهب عبد الله بن أنيس الى مضارب تلك القبيلة متنكرا فى الليل الى أن تمكن من سفيان بن خالد فقتله وعاد برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة[2] .

* * *

● **غـــزوة القرطاء :**

وكانت غزوة القرطاء وأميرها محمد بن مسلمة ومعه ثلاثون رجلا من المسلمين ذهب لغزو بنى بكر حتى أغار على جمع منهم فقتل عشرة رجل وساق الأغنام والابل ثم عاد الى المدينة . وكان ذلك فى شهر المحرم من السنة الخامسة للهجرة[3] .

● **غـــزوة بنى لحيان :**

وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منتصف ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة على رأس مائتى رجل من أصحابه ، منهم عشرون فارسا ، سار بهم حتى وصل الى عسفان ثم عاد

---

(١) غزوة بنى قريظة ــ محمد أحمد باشميل (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال .

(٣) المغازى ــ الواقدى جـ ٢ ص ٥٣٤

الى المدينة ولم يلق كيدا ، لأن بنى لحيان فروا وتفرقوا فى رؤوس الجبال عندما علموا بمسير رسول الله اليهم[1] .

* * *

● **غزوة الغابة :**

وقد خرج رسول الله فى هذه الغزوة فى شهر ربيع الثانى من السنة السادسة للهجرة لمطاردة عيينة بن حصن الذى أغار هو وأربعون فارسا من فرسانه على أغنام وابل للمسلمين كانت ترعى على أطراف المدينة ، فلما تعقبه المسلمون ترك مواشى المسلمين وفر ، ولكن بعد ما قتل المسلمون من رجاله أربعة فرسان[2] .

* * *

● **سرية عكاشه بن محصن الى الغمر :**

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن فى أربعين رجلا فى أواخر ربيع الثانى من السنة السادسة للهجرة لغزو بنى أسد فلما وصل عكاشة الى ماء لهذه القبيلة اسمه الغمر وجد على مقربة من الماء مائتى بعير وماشية أخرى فاستاقها وعاد الى المدينة[3] .

* * *

● **سرية محمد بن مسلمة الى ذى القصة :**

بعث النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة على رأس سرية عددها عشرة رجال الى مكان اسمه ذى القصة ، وذلك لغزو بنى ثعلبة الا أن الأعراب الذين كانوا فى مائة مقاتل أحاطوا ليلا بهذه السرية وقتلوا جميع أفرادها ، وجرح محمد بن مسلمة جرحا بليغا ، فلم يتحرك فاعتقد القوم أنه قتل ، فلما انصرفوا عنه حمله أعرابى الى المدينة مر به

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المغازى — الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٠

ووجـده جريحا بين القتلى ، وفى المدينة برىء من جراحه ، وكان ذلك فى شهر جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية زيد بن حارثة الى العيص :**

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى العيص على رأسه سرية عددها مائة وسبعون راكبا تعترض لقافلة قرشية كانت قادمة من الشام فاستولت هذه السرية على القافلة التى كانت فيها سلع ثمينة وفضة ، كما أسرت عددا من رجال القافلة ، كان من بينهم أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ، وقد سبق لزينب أن هاجرت الى المدينة وبقى زوجها أبو العاص مشركا فى مكة . فلما أسرته سرية زيد بن حارثة وأحضرته الى المدينة أفلت من جند السرية وذهب الى بيت زوجته زينب واستجار بها فأجارته وطلبت من والدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليه ما أخذ منه من مال ففعل ذلك الرسول بعد ما تشاور مع أصحابه فى الأمر ، فلما رجع أبو العاص الى مكة وأدى الى كل ذى حق حقه من التجارة ، قالوا له : جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما ، فقال هو : وانى الآن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وانى أسلمت فى المدينة وما منعنى أن أقيم فيها الا خشيتى من أن تظنوا أنى أسلمت لآكل عليكم أموالكم .

وقد قيل لأبى العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال قريش فى هذه القافلة التجارية : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال فانها أموال مشركين ؟ فقال : بئس ما أبدأ به اسلامى أن أخون أماتنى ، بعد ذلك عاد أبو العاص الى المدينة ورجع الى

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر — عبد الكريم غزال .

زوجته التى أحلت له عندئذ ، وكان ذلك فى رجب من السنة السادسة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية زيد بن حارثة الى الطرف :**

ثم كانت سرية بقيادة زيد بن حارثة عددها خمسة عشر رجلا ذهبت الى الطرف وهو ماء على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، وعند ذلك الماء كانت مضارب بنى ثعلبة ، فلما وصلت سرية زيد الى مقربة من الطرف وجدت سرحا لبنى ثعلبة فساقته وعادت به الى المدينة ، وكان ذلك فى رجب من السنة السادسة للهجرة[2] .

* * *

● **سرية زيد بن حارثة الى حسمى :**

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى حسمى وهو مكان لبنى جذام ، وكان عدد السرية خمسمائة مقاتل بامرة زيد ابن حارثة لتخليص أموال استولى عليها بنو جذام عندما هاجموا دحية الكلبى مبعوث رسول الله الى قيصر الروم ، وأخذوا ما كان معه من تجارة قدم بها من الشام ، وكان ذلك فى أواخر رجب من السنة السادسة للهجرة[3] .

* * *

● **سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فى شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة ، على رأس سرية عددها سبعمائة مقاتل وأوصاه بدعوة بنى كلب الى

---

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٣

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٥ ، ٥٦٠

الاسلام وقال له : « ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم أو سيدهم » ، فلما دعاهم عبد الرحمن بن عوف الى الاسلام استجابوا له ، فتزوج ابنة ملكهم تماضر بنت الأصبغ بن عمرو ، ثم قدم بها المدينة ، وهى أم أبى سلمة[1] .

* * *

● **سرية على بن ابى طالب الى بنى سعد بفدك :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فى مائة رجل الى حى سعد بفدك ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فسار الليل وكمن النهار حتى وصل على رضى الله عنه الى معسكر بنى سعد فوجده خاليا بعد ما فر كل من فيه ، فاستولى المسلمون على سرح لبنى سعد عدده خمسمائة بعير وألفا شاه ثم رجعوا الى المدينة ، وكان ذلك فى أواخر شهر شعبان من السنة السادسة للهجرة[2] .

* * *

● **سرية زيد بن حارثة الى بنى فزارة بن بدر :**

ثم كانت سرية بقيادة زيد بن حارثة لغزو بنى فزارة بن بدر ، الذين سبق لهم أن اعترضوا لتجارة للمسلمين كانت ذاهبة الى الشام بقيادة زيد بن حارثة نفسه ، فاستولوا على القافلة التجارية وضربوا من كان فيها ضربا مبرحا ، لذلك أرسل النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة لتأديبهم ، فلما وصل زيد وسريته الى ديار فزارة بن بدر لم يجدوا القوم فرجعوا الى المدينة وقد أصابوا بعض الغنائم والسبى كان فيه امرأة تدعى « أم قرفة » وكان ذلك فى شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة[3] .

* * *

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٥٦٠

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق .

● **سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن زرام :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة على رأس سرية عددها ثلاثون رجلا الى أسير بن زرام فى شهر شوال من السنة السادسة للهجرة ، وكان أسير بن زرام من كبار زعماء اليهود فى خيبر وقد أراد أن يحالف غطفان بقصد مهاجمة المسلمين فى المدينة ، لذلك ذهبت سرية ابن رواحة لتستطلع الأمر وتقف على ما يجرى هناك . وفى خيبر دخل عبد الله بن رواحة على أسير ابن زرام وقال له : ان رسول الله بعثنا اليك أن تخرج اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك ، فطمع « أسير » فى ذلك وشاور قومه فخالفوه فى الخروج ، فقال لهم : لقد مللنا الحرب ، ثم خرج مع سرية هو وثلاثون مقاتلا من قومه ، وفى الطريق ندم على خروجه واشتبك ورجاله فى قتال مع سرية عبد الله بن رواحة فكانت الغلبة للمسلمين ، اذ قتل أسير بن زرام فى الاشتباك وعدد من رجاله وفر من نجا منهم عائدا الى خيبر[1] .

* * *

● **سرية كرز بن جابر الفهرى :**

ثم أرسل النبى صلى الله عليه وسلم « كرز بن جابر الفهرى » بعد ما اعتنق الاسلام ، على رأس سرية عددها عشرون فارسا لملاحقة جمع من الأعراب اسناقوا بعض سرح المدينة عندما كان يرعى فى مكان اسمه الجدر ناحية قباء ، فأعاد كرز بن جابر السرح وألقى القبض على الفاعلين ثم أحضرهم أسرى الى المدينة وهناك نالوا العقاب الصارم ، وكان ذلك فى أواخر شوال من السنة السادسة للهجرة[2] .

* * *

---

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٥٥٦

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال .

● **غزوة الحديبية او صلح الحديبية :**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع شوقا الى اليوم الذى تؤمن فيه قريش ، ويهفو قلبه الى مكة التى أخرجته منها وهو كاره ، كما كان عليه السلام يتشوق الى تطهير بيت الله الحرام من رجس الأوثان والأصنام • ففى ليلة من ليالى شهر شوال من العام السادس للهجرة رأى عليه السلام فى منامه حلما ، رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرما مؤديا للعمرة ، وقد ساق معه الهدى معظما للبيت الحرام مقدسا له .• وفى أول ذى القعدة من سنة ست للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المدينة وساقوا معهم الهدى ولم يكن معهم الا السيوف فى أغمادها اذ لم يكن فى نيته عليه السلام أن يحارب قريشا ، فلما بلغ « ذو الحليفة » أحرم مع بعض أصحابه • واختار النبى صلى الله عليه وسلم طريقا آخر لأنه كان يتحاشى الاصطدام بقريش ابتعادا عن سفك الدماء واراقتها ، وتابعوا سيرهم حتى بلغوا « الحديبية » وهى بئر تبعد عن مكة تسعة أميال وهنا توقفت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسير ، وأقام فى ذلك المكان باتنظار ما سيسفر عنه موقف قريش المتعنتة • ولما أدرك النبى صلى الله عليه وسلم اصرار قريش وعنادها ، انتدب عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرسله الى قريش . وبعد عودة عثمان الى معسكر المسلمين ، جاءهم « سهيل بن عمرو » موفدا من قبل قريش للمفاوضة ووضع شروط الصلح وتوقيع المعاهدة • فاجتمع الى النبى صلى الله عليه وسلم بحضور نفر من كبار الصحابة ، وجرت بين الطرفين محادثات كان فى ظاهرها تنازلات من النبى عليه السلام وظنها بعض الصحابة ضعفا وذلة لكن حقيقتها وجوهرها : « نصر من الله وفتح قريب » • ووقع الطرفان وثيقة الصلح الذى سمى بصلح الحديبية والذى كان ايذانا بالفتح المبين والنصر العظيم (فتح مكة) ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ثم عاد المسلمون الى المدينة وكفى الله المؤمنين شر القتل والقتال[1] •

(١) صلح الحديبية ـ محمد على القطب ، (بتصرف) .

● غـــزوة خيـــبر :

خرج رســـول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فى شهر جمادى الأولى من الســـنة السابعة للهجرة فى ألف وستمائة ومعهم مائة فارس ودفع بالراية الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت المســـافة بين خيبر والمدينة نحـــو مائة ميـــل تقطعها الابل فى خمســـة أيام وقطعها الرســـول صلى الله عليه وسلم على ثلاث مراحل وبلغ موقع خيبر فى اليوم الرابع ، وكان خروج رســـول الله سرا . وعنـــدما رأى اليهود رســـول الله والجيش قالوا : محمـــد والجيش معـــه ، فأدبروا هرابا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر .. خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وهاجم المسلمون اليهود فى حصونهم من حصـــن الى آخر وســـيطر المســـلمون على خيبر وهكذا انتهت دولة اليهود فى الجزيرة ، وأمن الرسول والمسلمون جانبهم[1] .

* * *

● غـــزوة وادى القرى :

ثم كانت غزوة وادى القرى فى شهر جمادى الثانية وذلك عنـــدما انصرف رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم من خيبر بعد ما فتحها حيث توجـــه صلى الله عليـــه وسلم بجيش المســـلمين الى وادى القرى فهاجم حصونها التى كانت بأيدى اليهود وفرض حولها حصارا دام أربعة أيام استسلم فى نهايتها المدافعون عن الحصون ، ثم عقد المسلمون صلحا مع يهود وادى القرى «فدك» و «تيماء» على غرار ما صالح عليه أهل خيبر[2] .

* * *

---

(١) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٤٩١ وما بعدها (بتصرف) .

(٢) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـــام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨ وما بعدها .

● **سرية عمر بن الخطاب الى تربة :**

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب على رأس سرية عـددها ثلاثون رجلا الى تربة لدعوة بنى نصر بن معاوية وبنى جشـم ابن بكر الى الاسلام وهاتان القبيلتان تمتان فى الأصل الى « هوازن » فلما وصـل عمد ومن معه الى ديارهم فلم يجـد منهم أحـدا فعاد الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السابعة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية ابى بكر الى نجـد :**

وأرسـل النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنـه على رأس سرية الى نجد فى مهمة دعـوة القبائل للدخول فى الاسـلام ، وكان ذلك فى شـهر شـعبان من السنة السابعة للهجرة[2] .

* * *

● **سرية بشير بن سعد الى فدك :**

وبعث رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بشـير بن سـعد الى بنى مرة بناحية « فدك » على رأس سرية عددها ثلاثون رجلا ، فوجدت هـذه السرية على ماء قريب من فدك أغناما وابلا فسـاقتها وتوجهت نحو المدينة ، لكن بنى مرة عندما أخبرهم رعاتهم الخبر ، أعـدوا قوة كبيرة ، تبعت بشـير بن سـعد فأدركته فى منتصف الطريق واشتبكت مع سريته فى معركة ضـارية قتل فيها عدد من سرية بشير وولى الباقون وقد جرح بشـير بن سـعد جراحا بليغة ، فلما كان الليـل تحامل على نفسـه وذهب الى فدك وهنـاك أقام عند رجل يهودى حتى تحسنت جراحه فعاد الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر شعبان من السنة السـابعة للهجرة[3] .

* * *

---

(١) المغـازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٢٢

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشـام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٧ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق .

● **عمرة القضاء ـ أو عمرة القضية :**

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد العمرة فى شهر ذى القعدة من السنة السابعة للهجرة وذلك بعد مرور عام كامل على صلح الحديبية ، خرج صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة حسبما اتفق عليه فى الحديبية من العام الفائت ، وكان معه ألفان من المسلمين ومائة فارس بسلاحهم الكامل ، فأدى مناسك العمرة وعاد الى المدينة وقد سميت العمرة عمرة القضاء[1] .

* * *

● **سرية ابن أبى العوجاء السلمى الى بنى سليم :**

ثم كانت سرية ابن أبى العوجاء السلمى فى شهر ذى الحجة من السنة السابعة للهجرة وكان عدد السرية خمسون رجلا ذهبوا الى بنى سليم بقصد دعوتهم الى الاسلام ، فلما وصلوا الى مكان تجمع بنى سليم وكانوا جمعا كبيرا دعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منهم ، فتقاتل الجانبان فى معركة حامية وغير متكافئة فى العدد ، قتل فيها عدد من المسلمين وجرح أمير السرية ابن أبى العوجاء الذى تحامل على جراحه وعاد الى المدينة[2] .

* * *

● **سرية غالب بن عبد الله بالكديد :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على رأس سرية عددها عشرون رجلا ليشن الغارة على « بنى الملوح » فى مكان اسمه الكديد ، فلما وصلت هذه السرية الى مكان بنى الملوح

---

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٣١

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨ وما بعدها .

لم يجدوا القوم بل شاهدوا ابلا وأغناما فاستاقوها وعادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى صفر من أواخر السنة السابعة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية كعب بن عمير الى ذات أطلاح :**

وفى شهر ربيع الأول من السنة الثامنة للهجرة . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجلا الى ذات أطلاح من أرض الشام بقصد دعوة بعض القبائل الى الاسلام من تلك التى تقيم فى منطقة ذات أطلاح ، فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا بل اشتبكوا معهم فى معركة ضارية وقاتلهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حتى استشهدوا وأفلت منهم رجل جريح ، وتحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يبعث قوة كبيرة لتأديب القوم فى ذات أطلاح ، فبلغه أنهم ساروا الى مكان آخر فتركهم[2] .

* * *

● **سرية شجاع بن وهب الى السىء من أرض بنى عامر :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن بالسىء بقصد الاغارة ، فذهبت هذه السرية ثم عادت بما أصابت من المواشى والابل ، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى من السنة الثامنة للهجرة[3] .

* * *

---

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٥٠

(٢) المرجع السابق ـ جـ ٢ ص ٧٥٢

(٣) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨

● غـــزوة مؤتـــة :

بعث رســول الله صلى الله عليــه وسلم الحارث بن عمير الأزدى الى ملك بصرى بكتاب يدعوه للاســلام ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغســانى وقتله ، واشــتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا النــاس الى الخروج فاجتمع لديه ثلاثة آلاف مقــاتل يبغون الثــأر ويطلبونه . وحدد رســول الله صلى الله عليه وسلم القيــادة فجعلها لزيد بن حارثة ، ثم لجعفر بن أبى طالب ، ثم لعبد الله بن رواحة ، ومضى الجيش الى غايته فنزلوا بأرض الشــام عند معان . وبلغهم أن هرقل ملك الروم قــد تجهز لهم فى مائة ألف من الروم وانضم اليهم مائة ألف أخرى من القبــائل العربية مثل لخم وجذام ، ومعهم الخيل والسلاح ، والتقت القوتان فى مؤتة وبدأ القتــال واستشهد القــادة الثلاثة وتم اختيــار خالد بن الوليــد قائدا للجيش ودرس الموقف ثم انتهى الى خطة تتميز بالبراعة والاحكام وانسحب خالد بقواته وعــاد الى المدينة وقد فقد الجيش اثنى عشر رجلا فقط[1] .

* * *

● غـــزوة ذات السلاسل :

وبعث رسول الله صلى الله عليــه وسلم عمرو بن العاص الى مكان أو ماء بأرض جذام فى شمال شبه الجزيرة العربية اسمه «ذات السلاسل» على رأس سرية من المهاجرين والأنصــار عــددها ثلاثمائة رجل ، من بينهم ثلاثون فارســا وذلك بعدما بلغ رســول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا كبيرا من قبيلتى « بلى » و « قضاعة » .. قد تهيأ للاغارة على أطراف المدينة ، وقد بعث النبى الكريم عمرو بن العاص على رأس السرية لأن أخوال عمرو كانوا من قبائل تلك المنطقة ، لعله يستميلهم الى جانبه ، فلما وصــل عمرو بن العاص الى مقربة من أماكن القوم ، علم بأن لهم جمــوعا كبيرة فأرســل الى النبى صلى الله عليــه وسلم يطلب امداده

(١) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٦١٨

بالرجال فبعث عليه الصلاة والسلام مددا اليه بقيادة أبى عبيدة بن الجراح مؤلفا من مائتى مقاتل من بينهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فلما وصل أبو عبيدة وسريته قاتل الى جانب سرية عمرو بن العاص حتى انهزمت جموع العدو وتشتتت فى كل وجه ، فعادت قوة المسلمين الى المدينة ومعها كثير من الغنائم التى أصابتها ، وكان ذلك فى شهر جمادى الثانية من السنة الثامنة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية الخبط بقيادة ابى عبيدة :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى سرية فيها المهاجرون والأنصار . وهم ثلاثمائة رجل الى ساحل البحر الأحمر من جهينة فأصابهم جوع شديد فأكلوا الخبط وهو نوع من أوراق الأشجار لهذا سميت السرية بهذا الاسم . وكان ذلك فى رجب من السنة الثامنة للهجرة[2] .

* * *

● **سرية خضرة وأميرها ابو قتادة :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة على رأس سرية عددها ستة عشر رجلا للاغارة على حى من غطفان وأوصاهم النبى الكريم بقوله : « سيروا الليل واكمنوا النهار وشنوا الغارة ولا تقتلوا النساء ولا الصبيان » ، فلما وصلت سرية أبى قتادة الى مضارب جماعة من غطفان ومعهم ماشية كثيرة أغاروا على القوم فأصابوا كثيرا من الغنائم وبعض السبايا ، وقد سميت هذه السرية « خضرة » نسبة الى

---

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨.

(٢) المغازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٧٤

المكان الذى ذهبت ليـه السرية وهو فى نواحى نجد ، وكان ذلك فى شهر شـعبان من السنة الثامنة للهجرة[1] .

* * *

● **غـزوة الفتح أو فتح مكـة :**

نقضت قريش العهد المبرم فى صلح الحديبية ورأى رسـول الله صلى الله عليـه وسلم أن ما قامت به قريش لا مقابل له الا فتح مكة ، وقرر رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فتح مكة وأمر أهل بيته أن يجهزوه ، ثم دعا رسـول الله أبا بكر وعمر وتشـاور معهما فى الأمر ، وأمر عليـه السـلام بدعـوة كافة الناس الى التجهز وبعث الى من حوله من العرب وطلب منهم الانضمام الى جيش المسـلمين ، واستجاب الناس جميعا لدعوته عليه السـلام ، وبدأوا يتدفقون على المدينـة ، وكانت خطة رسـول الله صلى الله عليـه وسلم أن يدخـل مكة دون قتال ، وهـذا يعنى أن يفاجأ قريش بالجيش الاسلامى دون أن تكون قد اسـتعدت لملاقاته .

خرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم لعشر ليـال من رمضان وخرج معه المهاجرون والأنصـار لم يتخلف عنه أحـد منهم ، وبعض القبائل ، وأمر رسـول الله رجاله أن يوقـدوا جميعا النار حيث نزلوا فأوقدوا عشرة آلاف نار ، فظهر ضـوؤها فى ظلام الصحراء سـاطعا ينير فضاءها الواسـع ، حتى أصبح ليلها نهارا . ووصل وفد قريش الى حيث شـاهدوا النيران التى أوقدها المسلمون ، ورأى أبو سفيان جنود المسلمين فأسلم أبو سفيان وهرع الى مكة يحمل لها الأمان ويدعوهم الى الاستسلام وعدم المقاومة . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح مكة ولم تجد لقوات أى مقاومة ، وفتح رسول الله البلد الأمين

---

(١) المغـازى ـ الواقدى جـ ٢ ص ٧٧٧

وهو يقرأ سورة الفتح حتى انتهى الى الكعبة الشريفة وعفا عن معشر قريش وقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[1] .

* * *

● **سرية خالد بن الوليد الى بنى جذيمة :**

وعندما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى جذيمة الذين ينحدرون من عبد مناة بن كنانة ، على رأس سرية عددها ثلاثمائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، فدعاهم خالد الى الاسلام فقالوا له : اننا مسلمون ، فسألهم أسئلة تنم عن شكه باسلامهم ثم احتدم خلاف بينه وبينهم أدى الى قتل عدد من بنى جذيمة ، وكان ذلك فى شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة[2] .

* * *

● **غزوة حنين :**

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم « غزوة حنين » التى جاءت مباشرة بعد فتح مكة وذلك فى شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة ، وفيها تعرض المسلمون لهجوم مفاجىء من جانب ثقيف ، واختلط الحابل بالنابل وساء موقف المسلمين وانهزم الناس وفروا ، لم يفر رسول الله فهو رأس الجيش وقائده ، ودعا الناس الى العودة وبدأ القتال الفعلى واتتصر المسلمون بعد هزيمة .. لأن النصر من عند الله[3] .

* * *

---

(١) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٥٤٧ (بتصرف) .

(٢) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال .

(٣) العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ـ محمد فرج ص ٥٨١ وما بعدها .

● **غـــزوة الطـائف :**

وغزا رســول الله صلى الله عليــه وسلم غزوة أو حصــار الطائف الذى اســتمر ثمانية عشر يوما ، وكان ذلك فى شــوال من المــنة الثامنة للهجرة[1] .

* * *

● **سرية الضحاك بن ســـفيان :**

بعث رســول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى كلاب بقيادة أميرها الضحاك بن سفيان الكلابى يدعوهم الى الاســلام ، وكان ذلك فى شــهر ربيع الأول من الســنة التاســعة للهجرة ، فأبوا فقاتلوهم فهزموهم[2] .

* * *

● **سرية قطبــة بن عــامر :**

بعث رســول الله صلى الله عليه وسلم قطبــة بن عامر على رأس سرية عددها عشرين رجلا الى حى خثعم بناحية « تبالة » وهذا مكان يقع على مقربة من الطائف ، فشــنوا الغارة على سرح لخثعم فأصابوا ابلا وأغناما وعادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى من السنة التاســعة للهجرة[3] .

* * *

● **سرية علقمة بن مجزر المدلجى :**

بعث رســول الله صلى الله عليــه وسلم علقمة بن مجزر المدلجى أميرا على رأس سرية عددها ثلاثمائة رجل للنظر فى أمر جمع كبير من

---

(١) الفزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشــام ومصر ــ عبد الكريم غزال .
(٢) المغــازى ــ الواقدى جـ ٣ ص ٩٨٢
(٣) المرجع الســابق ــ جـ ٣ ص ٩٨١

بحارة الحبشة اقتربوا بمراكبهم من أحد السواحل الغربية من جدة ، فلما شاهد أصحاب المراكب سرية المسلمين هربوا فى البحر فعادت السرية ولم تلق كيدا ، وكان ذلك فى ربيع الآخر من سنة تسع هجرية[1] .

* * *

● **سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى الفلس :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فى خمسين ومائة رجل على مائة بعير وخمسين فرسا وجميعهم من الأنصار .. فسارت هذه السرية حتى نزلت محلة آل حاتم من أرض طى فشنوا الغارة مع الفجر على سرح كان فى ذلك المكان فأصابوا كثيرا من الغنائم ثم هدموا صنما اسمه « الفلس » وكان صنما لطىء ، ثم عادوا الى المدينة ، وكان ذلك فى ربيع الآخر من سنة تسع هجرية[2] .

* * *

● **غزوة تبوك :**

وقعت غزوة تبوك فى شهر رجب من العام التاسع للهجرة ، عندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل واجتمعت معهم بعض القبائل ، ندب الناس الى الخروج وحثهم على النفقة فى سبيل الله فجاءوا بصدقات كثيرة ، وكان أول الداخلين على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم جاء عمر بن الخطاب ثم جاء عثمان بن عفان ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبائل داعيا الى الجهاد فتوافد عليه المؤمنون من أطراف الجزيرة ، تجمع من المسلمين ثلاثون ألفا ، وكانت خيلهم عشرة آلاف بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وصلوا الى

---

(١) المغازى ـ الواقدى جـ ٣ ص ٩٨٣

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٩٨٤

تبوك لم يجدوا ما أخبروا به من تجمع الروم ونصارى العرب وعادوا دون أن يلقوا كيدا[1] .

* * *

● **سرية خالد بن الوليد الى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل :**

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس أربعمائة وعشرين فارسا لأسر أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل أثناء غزوة تبوك[2] .

* * *

● **سرية خالد بن الوليد الى نجران :**

ثم كانت سرية بقيدة خالد بن الوليد بعثها صلى الله عليه وسلم الى بنى « عبد المدان » فى نجران ليدعوهم الى الاسلام فقبلوا من خالد ما دعاهم اليه ودخلوا فى الاسلام ، وكان ذلك فى شهر ربيع الأول من السنة العاشرة للهجرة[3] .

* * *

● **سرية على بن أبى طالب الى اليمن :**

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب الى اليمن فى شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة على رأس سرية عددها ثلاثمائة فارس من أجل دعوة القبائل فى اليمن الى الاسلام ، فلما بلغ على رضى الله عنه أدنى الناحية التى كان يقصدها وهى أرض « مذحج »

---

(١) غزوة تبوك ــ محمد على القطب ، بتصرف .
(٢) المغازى ــ الواقدى جـ ٣ ص ١٠٢٥
(٣) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال (بتصرف) .

قام يدعو الناس الى الاسلام فأسلم بعض القبائل بدعوته ورفض الدعوة بعضهم الآخر ، فقاتلهم وانتصر عليهم وأصاب كثيرا من الغنائم .

هذه هى غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعددها سبع وعشرون غزوة ماعدا «أمر الحديبية» و «عمرة القضاء» أما السرايا فعددها سبع وأربعون سرية ماعدا سريتى خالد بن الوليد الى بنى جذيمة ، لأنها كانت ضمن غزوة الفتح ، وسريته الى أكيدر فى دومة الجندل لأنها كانت ضمن غزوة تبوك ، أما بعض المؤرخين فلهم رأى آخر بما يخص هذا التصنيف ، اذ أن الاختلاف هو فى بعض التفاصيل فقط ، أما الخط العام لهذه الغزوات والسرايا فهو متفق عليه من قبل جميع المؤرخين الأوائل[1] .

* * *

(١) الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ـ عبد الكريم غزال ص ٩٨ ـ ١٢١

obeikandl.com

مراجع الفصل الثالث

١ ــ القرآن الكريم •
٢ ــ الجهاد فى القرآن ــ عطية دسوقى عمر •
٣ ــ معجم مقاييس اللغة ــ لابن فارس •
٤ ــ حقيقة الجهاد فى سبيل الله وغايته فى الاسلام ــ عبد الله بن أحمد قادورى •
٥ ــ بلغة السالك لأقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ــ أحمد ابن محمد الصاوى المالكى •
٦ ــ منهاج الطالبين ــ النووى •
٧ ــ المغنى ــ لابن قدامة •
٨ ــ المحلى ــ ابن حزم الظاهرى •
٩ ــ الجهاد فى الاسلام بين الطلب والدفاع ــ صالح اللحيدان •
١٠ ــ مجمع الزوائد •
١١ ــ صحيح البخارى •
١٢ ــ صحيح مسلم •
١٣ ــ مسند الامام أحمد بن حنبل •
١٤ ــ سنن أبى داود •
١٥ ــ سنن ابن ماجه •
١٦ ــ سنن لدارمى •
١٧ ــ زاد المعاد فى هدى خير العباد ــ ابن قيم الجوزية •
١٨ ــ الجهاد فى الاسلام ــ محمد محمود الزامينى •
١٩ ــ الطبقات الكبرى ــ لابن سعد •
٢٠ ــ الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ــ عبد الله شحاتة •
٢١ ــ فتح البارى شرح صحيح البخارى •

٢٢ ــ المختصر فى سياسة الحروب ــ الهرثمى (مخطوطة فى الجامعة العربية) .

٢٣ ــ الجهاد والنظم العسكرية فى التفكير الاسلامى ــ أحمد شلبى .

٢٤ ــ الغزوات الكبرى ومعارك الفتح فى العراق والشام ومصر ــ عبد الكريم غزال .

٢٥ ــ المغازى ــ الواقدى .

٢٦ ــ العبقرية العسكرية فى غزوات الرسول ــ محمد فرج .

* * *

obeikandl.com